عُمَريُّون

تأليف: سلوى شلّة

رُسوم: عُمر السامرائي






عُمَريُّون

سلوى شلّة


Free Thinking Center
مركز التفكير الحر
freethinking@windowslive.com
/freethinkingcenter
/freethinking6
00966505284259



تأليف:سلوى شلة

رسوم:عمر السامرائي

القياس:11×20 سم

عدد الصفحات 106ص

ISBN

الطبعة الأولى

1444هـ - 2022م

جميع الحقوق محفوظة



من إصدارات مؤسسة السبيل

www.al-sabeel.net



طباعة ونشر وتوزيع

إصدارات مركز التفكير الحر



+966505284259

freethinking@windowslive.com


الفَصلُ الأول

عُمَرِيُّون

– مرحبًا بكم متابعيّ الرّائعين في عالم «إنستغرام» المتع ، أنا صديقكم «xw Adnan» ، أقوى التّحدّيات وأحدث الموضات وأمتع المغامرات تجدونها هنا في هذا الحساب المميّز!

أوّلًا وقبل كل شيء ، ملابسي أعجبتكم بالتّأكيد ، لا شكّ في ذلك أبدًا! خصوصًا أنها مُقدّمة من محلات (red and white) الشّهيرة ، إنها تشبه ملابس مغنّي البوب المفضّل لديّ ، يا لَحُسن حظّي!!



(بالمناسبة.. هذا الفنان أعشقه جدًّا ، أعتبره مُلْهِمي الأوّل في الحياة ، أنصحكم بمتابعته)

وتجدون في هذه المحلّات أيضًا الكثير والكثير من الملابس التي يرتديها أشهر الفنّانين حول العالم.

سارعوا لشراء أحدث الموضات وآخر الصّيحات ، وارموا تلك الملابس التّقليدية التي ترتدونها في أقرب سلة مهملات!

التّخفيضات على الأسعار رهيبة ولا تُصدّق ، لا تنتظروا فالكميّة محدودة.

والآن.. حان وقت التّحدّي!

تحدّي اليوم عجيبٌ غريب ، لن تجدوا له مثيلًا في عالم التّحدّيات كلّه ، ألا وهو: «حمّام البيض»!!

عندي هنا صحن بيض كامل ، وأتحدّاكم أن أكسرها على رأسي كلّها خلال دقيقةٍ لا أكثر ، اخترتُ هذا المكان في أحد البساتين حتّى لا تصاب أمي بالذّعر إن رأتني وأنا أقوم بهذه الجريمة!!

هيا جهّزوا ساعاتكم لتقيسوا الزّمن بأنفسكم ، وراقبوا «عدنان إكس دبليو» قاهر المستحيل..

واحد.. اثنان.. ثلاثة.. هيا

شاهدوا.. شاهدوا.. تثير الاشمئزاز ، ليكون الأمر أسهل على نفوسكم تخيّلوا صورة كلّ من تكرهون وأَفرِغوا غيظكم وحقدكم بِفَقْس ثلاث بيضات أخرى ، تذكّروا كلّ الالتزامات الدّراسية المملّة ، تذكّروا كلّ الواجبات التي تبعث في نفوسكم الضّجر والملل ، واحملوا البيض وفرّغوا كلّ غضبكم في فَقْسِه على رؤوسكم!

والآن.. انتهيت!

شاهدوا.. لزوجة البيض تُشعرني بالغثيان ، في أقلّ من دقيقة ، كلّها أصبحت سائلًا يقطر على ملابسي!

حذائي.. بنطالي.. قميصي امتلأ بالبيض ، هذا جنون!

لا أعرف ما الّذي ستفعله أمي عندما أعود للمنزل؟! لا بد أنّها ستُصاب بصدمة كبيرة!

لا بأس.. هي طيّبة وترضى بسرعة ، لا تشغلوا بالكم.

والآن متابعيّ الرّائعين بانتظار فيديوهاتكم لتحدّي فقس البيض ، دعونا نرى تحدّياتكم الرّهيبة لنعرضها لكم في الفيديو القادم.

يمكنك عزيزي المشاهد تجربة هذا التّحدّي على رأس أخيك ، صديقك ، أو ابن الجيران الصّغير ، ولا تنسَ أن تجد لك مخبأً وتضع فيه ما يكفي من الطّعام لثلاث أيام لتختفي فيه بعد أن ترتكب جريمتك الشّنعاء!

دعوني أرحل الآن لم أعد أستطيع التحمل ، والمناديل الورقية لم تُجْدِ نفعًا أبدًا!

لا تنسوا الإعجاب بالفيديو والاشتراك بالقناة ونشرها لكل عشّاق التّحدّي والحماس ، ألقاكم غدًا بانتظار تجربتكم وتحدّياتكم.

إلى اللقاء.

انتهى البثّ مع الكثير من الضّحك والمرح والعبث.

★★★



– ألو عدنان ، كان الفيديو رائعًا ، أحسنت يا فتى.

لا تنسَ موعدنا غدًا في مطعم «كِرشك يَكبر وهمّك يزول» ، سَنقدّم لهم إعلانًا في قناتنا مقابل مبلغ دسم ، ولا تنسَ أن تأتي جائعًا ، ستتذوق كلّ الأصناف في المطعم لِتُبدي للمتابعين انبهارك بطعمها ، ستجلس غدًا على مائدة لم ترَ مثلها في حياتك!

– أهلًا بالمعلّم حازم ، جيّد أن الفيديو أعجبك ، أراك غدًا إن شاء الله بعد أن أذهب إلى مصفّف الشعر.

– دفعت للحلّاق تكلفة تصفيف شعرك لشهر كامل ، تمامًا كما اتّفقنا ، أريد أن أراك أجمل شاب في «الإنستغرام» كلّه ، نمْ جيّدًا ولا ترهق نفسك بالدّراسة والعمل ، فلدينا الكثير من الأعمال التي تحتاج طلّتك البهيّة في الأيام القادمة.

– يسعدني ذلك طبعًا.

★★★★



في حارة ضيّقة داخل البلدة القديمة ، يقعُ منزل عدنان ، منزل جميل من غرفتين ، وحديقةٌ صغيرةٌ زرع فيها أبو عدنان شجرة ليمون كبيرة تملأ البيت بأريجها العَطِر ، وعدّة شتلات من الرّيحان والورد الجوريّ الأحمر الذي لا تكاد تخلو منه البيوت الرّيفية الفاتنة ، وياسمينة ضخمة ترتفع فوق باب المنزل ، ليشعر كل من يمرّ تحتها أنه يدخل زجاجة عطر.

يمتدّ على أرض الدار بساط ملوّن صنعته أمه بيديها بمهارة ودقة متناهية ، كيف لا وهي تعمل منذ سنوات بصناعة هذا النوع من البسط وتبيع بضاعتها لجيرانها ومعارفها.

كانت رغم بساطتها أُمًّا واعية حريصة على تربية ولدها الوحيد أفضل تربية ، لكنها بدأت تشعر في الآونة الأخيرة أنّها تفقده رويدًا رويدًا بعد دخوله عالم الإعلام والشّهرة..

وكما هو الحال كلّ يوم ، تعبت قدماها وهي تقف تارة وتجلس تارة ، وتتحرّك جيئة وذهابًا في حديقة المنزل تنتظره بقلق بعد غياب لساعات ، وها هو يعود للمنزل بمَرَح وفَرَح كالعادة!

– أين كنت يا ولد؟ وما هذا المنظرُ البَشِع الذي عدت به؟ وما هذه الرّائحة الكريهة التي تسبقُك إلى البيت؟ ما المصيبة الجديدة اليوم؟

– وهل تُسَمّين النّجاح والشّهرة والتميّز مصيبة يا أمي؟ ابنك اليوم من أشهر مشاهير «إنستغرام» بفضل هذا الذي تسمينه جنونًا ، هل تعلمين أنّ عدّاد



المتابعين وصل اليوم إلى المليون؟ كلّ هذا بفضل ولدك الجميل صاحب الشعر الأشقر المسترسل ، والملابس الفخمة والنّكتة الظّريفة!

– وما الّذي يهمّني إن كان لديك ملايين المتابعين وأنت تمارس هذا الجنون؟ ما فائدة إعجاب التّافهين بك وأنت جاهلٌ فاشل في حياتك ودراستك ، هل سيقدّم المتابعون لك العقل والفهم والمال الكافي لتعيش حياتك باستقرار؟ هل سيمنحك متابعوك من العلاقات ما يغنيك عن عيش حياتك مع محبّيك في الواقع؟

– ألم أخبرك أنني سأجني ذهبًا من هذا العمل؟ وعدني بذلك المعلّم حازم صاحب المشروع وممّول أعمالي ، قال لي إنه سيعطيني نصف الأرباح إن نجحتُ في رفع عدد المتابعين للمليون ، بينما هو يتكفّل في تأمين كافة مستلزمات العمل من آلات تصوير بدقة عالية وحاسوب محمول حديث وغيرها ، وكذلك الملابس الغالية لابنك المقدّم البارع وتكلفة تصفيف شعري ، ويجلب لنا الزبائن لنعلن لهم في قناتنا مقابل الكثير والكثير من المال.

– أنت تقول لي هذا الكلام منذ شهور ولم نجد من المعلّم حازم إلا الكذب ووجع الرّأس والقلب ، وكم أشعر بالخوف من تلك الأوراق التي قمت بالتّوقيع عليها وأنت تجهل ما فيها! كيف لعاقل أن يوقّع على مستندات ربما فيها من البلاء أكثر مما فيها من المصلحة؟

– آهٍ يا أمي!! ما الّذي سيكون في تلك الأوراق إلا عقد عمل شكلي يضمن



مصلحتي ومصلحة المعلّم حازم لا أكثر؟! ما الّذي سيدفع هذا الرجل الطّيّب ليُلحِق بي الضّرر وأنا الّذي فتحت له باب رزق لم يكن ليحلم به من قبل؟ أرجوك أمي لا تشغلي بالك بكل تلك الوساوس واهتمّي بشأن رضا أبي عنّي لا أكثر!

- لم أعد أجد مبرّرات جديدة أحكيها لأبيك لتنجو من غضبه ، فهو دائم التذمّر من إهمالك وغيابك المتكرّر عن المنزل ، وأنا تعبت من التبرير المستمر لحالك الذي لا يرضيني أصلًا قبل أن أقنع أبوك بالرضا عنه!

وأين المال الذي وعدك به المعلّم حازم؟ ها أنت قد قدمت الكثير من الإعلانات لشركات ضخمة ، أين نسبتك من الربح؟

- وعدني أن يدفع لي قريبًا ، خصوصًا أنّني نجحت في استقطاب مليون متابع ، سأصبح ثريًّا قريبًا إن شاء الله.

★★★★



في وقت متأخّر عاد أبو عدنان مرهقًا من العمل ، ليرتمي بجسده الضّخم على أقرب أريكة من الباب ، وقد اكتسى شعره الكثيف بقطع صغيرة من الخشب المتطاير ، واكتست ثيابه بالغبار نتيجة عمله المرهق في محل النّجارة الخاص به.

رجل بسيط في الأربعين من عمره ، يعتبر نفسه سعيد الحظ لقدرته على تأمين حياة كريمة لأسرته الصغيرة ، يحبّ العلم والشعر والأدب ، ويشعر في قرارة نفسه بالرّضا والسّعادة لاستمراره في القراءة والاطلاع على مختلف العلوم رغم خروجه من مقاعد الدّراسة والتحاقه بمهنة يدوية يجد فيها رزقه وشغفه في تحويل الجماد إلى أثاث جميل يضجّ بالحياة في كل بيت.



- يبدو عليك التّعب اليوم عزيزي ، تناول عشاءك لتنام وترتاح.

- نعم ، أنا متعب جدًا ، فالعمل في ورشة النجارة لا يهدأ والحمد للّه.

أين عدنان؟ لماذا لم يجلس معي منذ يومين؟

- إنه نائم.

- هل لا يزال هذا الفتى يعمل مهرّجًا للجماهير؟ ألم تخبريه أنّ عليه ترك هذه التّفاهات والعودة للاهتمام بدراسته بشكل أفضل؟ هل اكتشف أن المعلّم حازم مجرّد لصّ يستغلّه بكلماته المعسولة أم ليس بعد؟

- وعدني أن يأتي بمبلغ كبير غدًا ، حكى لي أنّ عمله هذا يدرّ عليه دخلًا مرتفعًا ربّما يفوق ما يحصل عليه طبيب أفنى حياته في أشهر الجامعات.

- وَلْيَكُن.. ماهي قيمته بين النّاس؟ مهرّج؟ كراكوز؟ سيبقى تافهًا بلا قيمة ، بل ملابسه تلك التي يرتديها مؤخّرًا أعلى قيمة منه!!

المعلّم حازم هذا لا يعجبني ، وأشعر أنه يدبّر أمرًا.

إن لم يتوقف عدنان عند هذا الحدّ سأوقفه بطريقتي ، وهو يعلم تمامًا ما أعني ، أبلغيه بهذا.





في صباح اليوم التّالي وضع عدنان ملابسه الأنيقة في حقيبة المدرسة ، وخرج مستعجلًا قائلًا بأعلى صوته:

- سأتأخّر اليوم في العودة للمنزل يا أمي ، لا تنتظروني على الغداء ، فعندي اليوم غداء عمل.

- توقّف يا ولد!

- ماذا هناك يا أمي؟ أنا متأخر!

- طلب مني أبوك أن أخبرك بأنّه سيوقفك بطريقته إن لم تتوقّف عن العمل مع المعلّم حازم!! حاولت إقناعه أن يمنحك آخر فرصة هذه المرّة فقط ، لكن تأكّد أنّني لن أدافع عنك مرة أخرى.

- أبي لا يفلح إلا في وضع العراقيل في طريق نجاحي ، لماذا كان يفخر بي عندما أعود أشعث أغبر من ورشة النّجارة الخاصّة به؟ ويفسح لي مجالًا لأجلس بجواره في صدر البيت بين الرّجال ، ويباهي بي بين أصحابه عند تفوّقي في مادّة دراسيّة لا أعلم إلى اليوم دورها في حياتي؟ بينما لا يتقبّل فكرة أن يراني مشهورًا كغيري من المشاهير؟

أشعر أنّه صار يكرهني مؤخّرًا ولا يحبّ لي الخير ، ماذا فعلت له ليحقد عليّ هكذا؟ ألا يجب أن يفخر بي وأنا أصعد كنجم متألّق في عالم الفنّ والشّهرة؟ ماذا يريد مني بالضّبط؟ هل يريد لي مستقبلًا مشرّفًا كنجّار مثله في سوق البلدة؟

في هذه اللحظة خرج أبوه من غرفته وقد سمع كلام ولده الذي يحبّ ، شعر بكلامه القاسي كسهم مسموم انغرس في قلبه المُتعَب ، نظر في عيني عدنان نظرة ألم ، والتفت إلى الطّاولة التي بجانبه ، فأخذ طعامه وزاده اليوميّ من فوقها ، وانصرف إلى عمله مجروحًا دون أن يتكلّم.

- لماذا لم تخبريني أنّ أبي لم يخرج إلى عمله بعد يا أمي؟ هل أعجبك هذا؟ لا أعلم لمَ لا أجد في هذا المنزل إلا المشكلات!

أنا ذاهب.

★★★★


M·CAT

لم يكن حال عدنان في المدرسة أفضل من البيت ، فبعدما كان يلتفّ حوله الكثير من الأصدقاء ، لم يعد اليوم يجد منهم إلا متملّقًا ثقيل الظلّ أو صاحب حاجة ومصلحة ، وكثيرًا ما اتّهمه صديقه المقرّب بأنه قد تغيّر وأصبح متكبّرًا متعجرفًا ، لا يحبّ إلا نفسه ولا يهتمُّ إلا بمصلحته! وصديقاه «عمّار وبلال» تحوّلا فجأة إلى يوتيوبرز ومشاهير في مواقع تواصل اجتماعي عدّة!

«هي الغيرة مني لا أكثر» هكذا كان يفكّر كلما رآهما يصعدان في عالم الشهرة ، فينظر إليهما بازدراء ويمضي..

بعد الدوام المدرسي كان الشاب الثري «حازم» بانتظار عدنان أمام المدرسة ، أطلق زمّور سيارته ليلفت انتباه عدنان إليه ، وربما ليلفت انتباه بقية التلاميذ لسيارته الفارهة.

- أهلًا بعدنان الفخم.

قالها والسيجار يتدلّى بين شفتيه ، ينفث دخانه الكثيف في الهواء الطلق خارج السيارة ، وقد فتح تلك النافذة في سقفها ليستمتع بنسيم الربيع ، حسب ما قال.



مـدّ يـده لمصافحتـه ، لـيرى عدنـان سـاعته الذهبيـة تطـوّق معصمـه ، ويـرى بطاقـة الماركـة المشـهورة تتدلّـى مـن كـمّ قميصـه وكأنـه قـد نسـيها دون قصـد!

- مرحبًا يا معلّم..

- مالك يا عدنان ، أراك مهمومًا على غير عادتك.

- نعم ، مهمـوم جدًا هـذا اليـوم ، فأهلـي يضغطـون علـيّ بشـكل مسـتمرّ لتـرك العمل معك ، أنت تعلـم أنـني مـن أسـرة متوسّـطة الحـال ولسـت ثريًّـا مثلك ، وأمـي تنتظـر مـا وعدتهـا بـه مـن أربـاح ، وقـد قمنـا بالإعـلان سـابقًا لأكثـر مـن عشـرين شـركة تجاريـة ، وتخطّينـا حاجـز المليـون الأول في عـدد المتابعـين..

وأنا وعدتها أن أحضر لها مبلغًا جيدًا هذا اليوم ، إن كان هذا بالإمكان.

-طبعًـا يـا عدنـان هـذا حقّـك ، ولا تظـنّ أنّـي لـن أدفـع لـك ، لكـن أنـت تعـرف حـال السـوق ، أغلـب التجّـار الذيـن قمنـا بالترويـج لهـم لم يدفعـوا لي بعـد ، ثم إنّـي أخبّـئ لـك نصيبـك مـن المـال ليصـير مبلغًـا ضخمًـا تفخـر بـه أمـام أبيـك.

-أبي!! لا أعلم إن كان سينظر في وجهي بعد أن تشاجرنا صباح اليوم.

- أعلـم أن والـدك لـن يرضيـه تغيُّـر حالـك ببسـاطة ، فهـو ليـس مـن الطبقـة الغنيـة المخمليـة في المجتمـع ، الـتي تقـدّر المواهـب وتحـترم الفـنّ ، مـا هـو إلا نجّـار بسـيط في بلـدة قديمـة ، لا ثـراء يرفـع قـدره ، ولا شـهادات علميـة يفاخـر بهـا بـين النـاس!

أمـا أنـا فقـد عرفـت موهبتـك مـذ رأيتـك بـين أصدقائـك تتحـدث بقـوة وحمـاس ، والجميـع ملتفّـون حولـك باهتمـام وذهـول ، علمـت أنـك فـتىً موهـوب وأن المسـتقبل يفتـح لـك ذراعيـه ، فلـم أشـأ أن تضيـع مواهبـك في زقـاق البلـدة ، بـل أردتـك أن



تشغل المكان الذي يليق بموهبتك وفنك وشخصيتك القيادية.

سنصل بعد قليل إلى المطعم ونبدأ البث المباشر ، بدّل ملابسك ورتّب نفسك ، دعني أَرَك تبتسم من جديد ، فالبؤس والحزن لا يتناسب مع تقديم إعلان اليوم ، أجّل التفكير في همومك ليومٍ نعلن فيه عن فيلم حزين مثلاً!! وحاول أن تُظهِر متعتك في تناول الطعام حتى وإن لم يكن طعمه يستحقُّ الإعجاب ، هدفنا هو الربح لا أكثر..

-حاضر يا معلم ، لا توصِ حريصًا ، فقد أتقنت صنعتي.

كلمات قليلة قالها عدنان بعد أن شعر بغصّة في حلقه ، فهو يحبّ أن يكون مشهورًا بلا شك ، لكن الحديث عن أبيه بهذه الطريقة يؤلمه ، شعر أنه تسبّب بأذىً لوالده ، وتسبّب بالتقليل من شأن أبيه في عيون الناس ، فهو يعلم في الحقيقة أن لديه أبًا طيّبًا يقدم له الكثير.

وبعد لحظات..

- مرحباً بكم من جديد متابعي قناتي «عدنان إكس دبليو» موعدنا اليوم مع المطعم الجديد (كرشك يكبر وهمك يزول) جلسات رومانسية ، وموسيقى هادئة ، بحرات ونوافير رائعة ، اصطحب والديك ، زوجتك وأولادك ، خطيبتك ، أصدقاءك ، وشركاء العمل ، واستمتعوا بأجمل السهرات وألذ الأطعمة بلا منازع ، تخفيضات رهيبة على بعض أصناف الطعام.

الطعام البحري يحظى باهتمامنا اليوم ، لم أجرّبه سابقًا وأظن أن تجربته

في هذا المطعم لأول مرة ستكون تجربة لا تنسى..

انظروا للأطباق المزينة بفنٍّ عالٍ وذوق رفيع ، أنواع مختلفة من الأصناف ، وعلى كل ضرس لون!

العروض اليوم على الأصناف التالية: قريدس مشوي على الفحم ، سلطة أعشاب البحر مع التوت البري والخردل ، أخطبوط محشي بالأرز واللحم وقطع اليقطين ، أصداف المحار ، يا إلهي ، لاحظوا الفن والإبداع هنا ، لا يزال ما بداخلها حيًّا يتحرّك رغم كل هذه الصلصات التي وضعت عليه ، تبدو تجربة مشوّقة فعلًا ، وهنا حساء السمك المطحون مع البروكلي والشوفان..

مائدة يسيل لها اللعاب حقًا ، ما أشد حماسي لبدء المغامرة..

والآن دعونا نبدأ ، بسم الله..

نعم إنه طعام لذ.. لذ.. لذ.. لذيذ.. نعم.. ستبهجك تلك المشاعر التي تنتابك وأنت تقرمش أقدام القريدس بين أسنانك ، بكل تأ.. تأ.. كيد

ستبتهج بحق عندما تشعر بجلد الأخطبوط كقطعة بلاستك تلوكها في فمك إلى اللانهاية ، لكنه رغم هذا طيب الطعم بلا شك ، وأما مسحوق السمك المطبوخ فطعمه ، شه.. شه.. شهيّ جدًا يصعد بك إلى عالم النجوم وما فوقها!

وأما المحار الحي فهذا الذي أعجز عن وصفه ، فأنا أشعر بالـ...

- أوقف البث يا حازم ، يكفي هذا!

صرخ الطبّاخ غاضبًا بعد أن تقيّأ عدنان كل ما في بطنه أثناء البث على المائدة ، قَرَفًا من هذا الطعام الذي لم يتعلّم أصلًا كيف يأكله فضلًا عن تعوّده على طعمه.

- تبًّا لكم ولطعامكم البحري هذا ، أقسم أن المجدرة التي تطهوها أمي كل يوم وأتذمّر منها باستمرار ، أطيب من هذا الطعام الذي تسمّونه فاخرًا..

- ماذا تفعل يا ولد! هل تعلم لمن هذا المطعم يا أحمق؟ إنه ملك لرئيس قسم الشرطة في البلدة ، ولن يترك الأمر يمرّ بسلام ، ستدفع أنت ووالدك الثمن غاليًا أيها المتهور!

- إياك أن تقترب من والدي قدر شعرة يا حازم ، حسابك معي أنا لا مع والدي.

خلال لحظات ، وصل رئيس قسم الشرطة إلى المطعم ، اقتحم المكان وكأنه



يداهم مقر عصابة مجرمة قد ارتكبت كل أنواع الجرائم.

- أين أنت يا حازم ، ويلك مني إن لم تدفع كل خسائري التي تترتب على هذه الفضيحة. تكلفت على هذا المطعم قرابة المليون درهم ، وأنت من ستدفع خسارتي..

ذهبوا إلى الشاشة ليشاهدوا ردود أفعال الجمهور ، ليجدوا أن عدد المتابعين ازداد أضعافا ، وحصل الخبر على أعلى نسبة مشاهدة ، وكان الحدث الأكثر تداولًا على الإطلاق!!

ازداد رئيس قسم الشرطة غضبًا وقال:

سأغلق المطعم بلا شك بعد هذه الدعاية «المميّزة» أيها الفاشل ، وإن لم تتدبر لي المليون درهم خلال ثلاثة أيام سأرميك وهذا الولد السمج في السجن.

ركب المعلم حازم سيارته وانطلق مسرعًا في طريقه والشرر يتطاير من عينيه ، وترك خلفه عدنان يحث الخطى نحو منزله البعيد ، وصل المعلم حازم لمنزله ليحضر كل المستندات التي وقع عليها عدنان بغفلة وجهل منه ، وعاد بها إلى بيت عدنان ليهدّد ويتوعّد

-انظر هنا يا فتى ، أنت وقّعتَ لي على ورقة توثق استدانتك مبلغ مليوني درهم على أن تردّها لي بعد أسبوع من تاريخ توقيع الوثيقة ، هذا يعني أنك متأخّر جدًّا في السداد. فإما أن تحضر لي المبلغ كاملًا أو سأرميك في السجن

- أنا لم أفعل ذلك! كانت أمي محقة حين تخوفت من توقيعي لأوراق لا أعلم



ما بداخلها! أحسنتُ الظن فيك ووقّعت دون انتباه على وثيقة هلاكي ، وها أنت اليوم تُظهر لي معدنك الخبيث ، وتستغل جهلي وحماستي للعمل معك بأبشع أسلوب!

- لن ينفع الندم اليوم يا عدنان ، صاحب المطعم ينتظر أن أدفع له المال وأنت المسؤول عن هذه الخسارة ، تدبّر أمرك.

دخل عدنان لغرفته باكيًا بحرقة ، جلس على كرسيه واضعًا جبينه على ذراعيه فوق الطاولة ، ومئات الأفكار تدور في رأسه ولا يجد لها جوابًا

«لماذا يحصل معي كل هذا؟

ماذا سيفعل أبي عندما يعرف مصيبته التي حلّت به بسببي؟

لمَ تركني كل أصدقائي فلم أعد أجد منهم مؤنسًا وداعمًا في الشدائد؟

إلى من ألجأ في مصيبتي؟ ماذا أفعل؟

لمَ أنا موجود في هذه الدنيا المتعبة أصلا؟»

فجأة ، ظهرت رسالة على شاشة الحاسوب الموجود أمامه على الطاولة تقول:

(إن أردت الحصول على أجوبة شافية لأسئلتك فاضغط موافق)

- يا إلهي ما هذا؟ هل حاسوبي مخترق؟ كيف حصل هذا؟

ذُهِل عدنان من الحدث ، تردَّد كثيرًا في الضغط على الموافقة ، لكنه في النهاية تشجَّع ، وضغط الزر..

ضوءٌ عالٍ سطع في غرفته يكاد يخطف بصره ، لم يتمكَّن من شدَّته من فتح عينيه..


الفَصلُ الثاني



«أين أنا ، ماذا حصل ، هل أنا أحلم؟»

تسارعت دقّات قلب عدنان بعد أن وجد نفسه في غرفة يراها لأوّل مرة في حياته.

وما هي إلا لحظات حتى دخل إلى الغرفة شاب يكبره بسنوات قليلة قادمًا من مطبخ منزله ، نظر إليه باستغراب وذهول ليقول له:

– من أنت؟ كيف دخلت إلى بيتي أيها اللصّ؟

وقبل أن يجيب عدنان بحرف واحد تَهاوَت عليه اللكمات والضربات ووجد نفسه مربوطًا في زاوية الغرفة!

– أنت جاسوس للعدو بلا شك ، سأعلّمك معنى الشرف أيها العميل..

– من تقصد بالجاسوس؟ وعن أي عدوٍّ تتحدّث يا هذا؟ مَن أنت أنا لا أعرفك ولا أعرف كيف وصلتُ إلى هنا!

– تريد إقناعي أنك سقطت من المريخ؟ لن تنطلي عليَّ خدعتك ، وستلقى جزاء دخولك إلى بيتي وتجسُّسك عليّ.

– أقسم لك أني لا أعرف كيف وصلت لبيتك!

– عندما تهترئ يداك من القيد ستعرف كيف وصلتَ إلى هنا بلا شك.

نظر عدنان حوله بذهول محاولًا فهم ما يحدث ، وراح يتذكَّر الخطوات التي فعلها وتسبّبت بوصوله إلى هذا المكان المجهول.

شاهد علم فلسطين معلّقًا على حائط الغرفة، وبقربه صورة لرجل يبدو عليه الهيبة والوقار، واستغرق في التفكير: «من هذا الرجل؟ وما قصة هذا الشاب؟ هل يعيش هنا بمفرده؟ فأنا لا أشعر بوجود أحد غيره.»

رنّ هاتف الشاب فحاول عدنان استراق السمع عسى أن يعرف أي شيء عن هذا المكان الذي وصل إليه..

- أهلًا بك يا معاذ، أنا بانتظارك، عندي لك مفاجأة ستعجبك.



وبعد نصف ساعة وصل معاذ

- السلام عليكم ، كيف حالك يا خالد؟

- أهلًا يا معاذ ، تعال انظر ماذا أرسل لنا الاحتلال ، فتىً مُغفّلًا لا يعرف أصول التجسُّس ، لا بدّ أنه جديد في عمالته.

اقترب منه معاذٌ بحذَر ، نظر إليه متفحّصًا ملامحه بدقة

- لم يسبق لي رؤيته من قبل ، ما اسمك يا هذا؟

- اسمي عدنان ، وأنا لست عميلًا ، بل أنا مثلكما تمامًا لا أعرف كيف وصلت إلى هنا!

- كذبة تفتقد للذكاء تمام كطريقة تجسُّسك.

★★★

- الشاي جاهز ، تعال يا معاذ.

- إذ يبدو أن العدو بدأ يشكّ بأمرنا حتى أرسل إلينا من يأتي بأخبارنا يا خالد.

- أعتقد هذا ، علينا أن نكون أكثر حذرًا!

- ماذا سنفعل بهذا الفتى؟

- لا تَخَفْ ، أخذتُ منه كل ممتلكاته ، وأجبرته على تبديل ملابسه وأعطيته لباسًا من عندي ، لأتجنّب احتمال حمله لأي شريحة تجسّس أو جهاز تواصل.

-لهذا تبدو ملابسه كبيرة عليه ، يبدو شكله مضحكًا.

-سيبقى أسيرًا عندي إلى أن نعرف سرّه ، ربما كان ذا قيمة عند العدو حينها سيكون أجمل هدية من الله ، هل تعرف ماذا سأفعل به؟ سأفاوض الاحتلال لمقايضته بأبي.

كانت عينا خالد تلتمع فرحًا وسعادة وكأنه قد حصل على مفتاح زنزانة أبيه المعتقل منذ خمس سنوات في سجون الاحتلال.

فجأة.. نظر لعدنان بغضب وقال له:

- أرجو ألّا تكون مجرد عميل رخيص عند الاحتلال ، فإن كنت كذلك ، فحرامٌ فيك ثمن اللقمة التي أطعمك إياها أيها الفتى!

- أنا لست عميلًا لأحد ألا تفهم؟ أنت لم تخبرني إلى الآن أين أنا ، رغم أني سألتك ألف مرة!! هل تريد أن تقنعني أنني في فلسطين!؟ لا يمكنني أن أصدق هذا! هل أنت الذي أرسلت لي رسالة تقول فيها أنك ستجيبني على أسئلتي؟

- رسالة ماذا؟ كفاك عبثًا لم أعد أحتمل هذا الهراء.

- تعال يا معاذ لنكمل مخطّطنا ليوم غد الأحد.

التفّ معاذ وخالد حول خريطة كبيرة للمسجد الأقصى المبارك ، تظهر فيها أبواب المسجد الخمسة عشر ، وما فيه من مرافق ومصلَّيات تاريخية عظيمة.

- انظر يا معاذ ، سيكون مكان رباطنا عند باب الأسباط ، لن نسمح لهم باقتحام المسجد يوم عيدهم الأحد ، سيشارك في الاقتحام حاخامات كبار ووزراء في الحكومة ، بحماية عشرات من الشرطة الإسرائيلية ، أسأل الله أن يثبّتنا أمامهم وأن يحفظنا من بطشهم ومكرهم.

- توكل على الله يا خالد ، سأجهز مجموعة الإسعافات الأولية ، ومحاليل لغسل عيوننا من الغازات المسيلة للدموع ، وعليك تحضير الأعلام واللافتات ، اختر عبارات تهزّهم وتزلزل كيانهم ، ليعلموا أننا لن نتنازل عن مقدّساتنا مهما فعلوا.

التفت خالد إلى عدنان ونظر إليه بازدراء وقال:

- وأنت يا عدنان ماذا جهّزت ليوم اقتحام المسجد الأقصى؟ هل وضعت كل همّتك وجهدك في الكيد لإخوانك؟ ألا تشعر بالخزي والعار عندما بعت قضيّتك ومقدساتك بثمن بخس؟ ألا تشعر بالغيرة والأسى عندما يدنَّس مسرى الرسول صلّى الله عليه وسلّم برجس المحتلين؟ حريّ بمسلم مثلك أن يضحي بنفسه وماله لحماية الأقصى المبارك ، وأن يحمل هذه القضية بأمانة وعزيمة حتى

زوال الاحتـلال ، لكـن للأسـف.. خسـرت معركتـك مبكّـرًا جـدًّا..

- فـكّا قيـودي لأشـارك معكمـا ، لتعلمـا حينهـا كيـف أضحـي بنفسـي في سـبيل الله بـلا تـردُّد وخـوف ، كيـف لي أن أحمـي المسـجد الأقصـى وأنـا مقيّـد في زاويـة الغرفة؟ أنـا لسـت عميـلًا ، أريـد أن أعـرف مـا الـذي حلّ بوالـدي ، أخشـى أن يؤذى بسـببي ، الوقـت يمـرّ وأنـا أتحـرّق لأعـود لبيـتي وأوقـف ذلـك اللـص عنـد حـدّه ، أرجوكمـا فـكّا قيـدي وأعيـداني لبيـتي!

- لديـك خيـال خصـب يـا عدنـان ، تريـد حـلّ مشـكلاتك عـن طريـق اقتحـام بيـوت النـاس والتجسُّـس عليهـم أليـس كذلـك؟! الويـل لـك إن لم تفلِـح في إثبـات براءتـك.

حلّ المسـاء وعـاد معـاذ لمنزلـه ، قـام خالـد بتشـغيل أناشـيد ترفـع الهمـة وتزيـد الحمـاس في النفـوس ، ورفـع صوتهـا عاليًـا لتصـدح في أرجـاء المنـزل (مـا وَهَنّـا ، مـا وَهَنّـا ، نحـن أحفـاد المثنّـى ، في سـبيل المجـد سـرنا ، اسـألوا التاريـخ عنـا)

وانهمـك بتخطيـط عبـارات المقاومـة والصمـود علـى اللافتـات ، وجهّـز الأعـلام ووضعهـا في حقيبـة ظهـر ليحملهـا في اليـوم التـالي إلى المسـجد الأقصـى.

كان عدنـان يراقـب مـا يفعلـه خالـد طـول الوقـت ، ويحـاول فهـم الدوافـع الـتي تدفـع شـابًا في مقتبـل العمـر لتـرك اللهـو واللعـب والانشـغال بأعمـال قـد تـودي بـه للمـوت أو السـجن ، عاصفـة مـن الأسـئلة تـدور في رأسـه بـلا توقّـف!!

«لمـاذا لا يهتـم خالـد بفتـح حسـابات علـى وسـائل التواصـل الاجتماعـي مثلـي لتـدرّ عليـه أرباحًـا كثيـرة مـن خـلال تقديـم النـكات والمقالـب والتحدّيـات ، وقضـاء



ساعات بثٍّ مباشر في لعب أحدث الألعاب الإلكترونية لتنهال عليه الإعجابات وعبارات الثناء والمديح؟ لا أجد على حائط غرفته صور نجوم البوب ومشاهير الفنّ وكرة القدم ، كيف له أن يُقدِم على أعمال خطيرة وهو بهذا السنّ؟

كيف قبل صداقة صديقه معاذ الذي أتى بثياب رثّة لا أقبل بارتدائها أبدًا؟ كيف استقبله بحرارة هكذا؟ كيف تشكّلت هذه الصداقة القوية بينهما؟

أين عائلة خالد؟ هل هذا الذي في الصورة أبوه المعتقل؟

كيف لشباب في هذا السنّ أن يفكروا في قضايا كبيرة كتحرير البلاد وحماية المقدّسات الدينيّة والتضحية من أجلها؟

أشعر أنني رحلت لكوكب مختلف عن كوكبي الذي أنتمي إليه ، وأشعر في رغبة في البقاء هنا ، يبدو أن للحياة معانيَ أجمل من تلك التي اعتدت عليها!»

لاحظ عدنان احمرار وجه خالد أثناء عمله ، إنه يتعرّق بشدة ويداه ترتجفان ، لكنه يقاوم ويكمل عمله بلا توقّف إلى أن انهار فجأة وارتمى على فراش بسيط بجواره.

- ماذا بك يا خالد ، يبدو أن حرارتك مرتفعة ، فكّ قيدي ودعني أساعدك!

- لا أحتاج مساعدة الخونة ، ابق مكانك ولا تتدخل فيما لا يعنيك.

وقف خالد بصعوبة وجرَّ نفسه بجهد إلى خزانة الأدوية ، تناول حبة دواء وأحضر لحافًا سميكًا واستلقى على فراشه ، غطّى نفسه باللحاف ولفّه حول جسده المنهك بشدة ، رغم ذلك استمر بالارتجاف لنصف ساعة قبل أن يغطَّ في نوم عميق.

فكّر عدنان:

«لو كانت أمه هنا لحضّرت له حساءً ساخنًا أو شراب البابونج الدافئ تمامًا كما كانت تفعل أمي ، ربما جلست بقربه وهي تضع على جبينه قماشة مبلّلة تلو أخرى وترقيه بآيات القرآن وتدعو له بالشفاء دون توقف.

لو كانت أمه هنا لما نام هذا المسكين دون عشاء ، كيف لجسمه أن يقوى ويقاوم المرض وهو لم يتناول إلا لقيمات طول يومه ، لقد أطعمني أكثر مما أكل!

آه يا أمي ، ترى ماذا حصل في البيت بعد ذهابي؟»

عند فجر اليوم التالي نهض خالد وقد زالت عنه الحرارة ، واستعاد بعضًا من نشاطه وقوّته ، وتَجَهَّز ليغادر المنزل متوجِّهًا إلى المسجد الأقصى ، حيث سيلتقي بمعاذ وبقيّة المرابطين.

- أرجوك خذني معك ، أودّ مشاركتكم في رباطكم اليوم ، صدّقني أنا بريء.

- عمل كهذا لا يصلح إلا للشرفاء ، لا وقت لدي لنقاشك ، سأتفرَّغُ لك إن عدت سالمًا مساء اليوم.

وضع بقربه صحنًا فيه بعض الطعام ، وإبريق ماء ، ثمّ انصرف.

وصل خالد للمسجد الأقصى ، التقى بمعاذ وبقية المرابطين من رجال ونساء وشباب وشيوخ ، وتعاهدوا على الثبات في المسجد الأقصى والوقوف كالجبال الراسيات ، توزّعوا على كل أبواب المسجد ، باب الأسباط وباب حطّة وباب العتم وباب الحديد والسلسلة والقطانين وغيرها ، أبواب شهدت معارك على



مرّ التاريخ ، شهدت انتفاضات ومجازر واقتحامات ، أُغلِق بعضها ظلمًا وعدوانًا كباب المغاربة وباب الرحمة وغيرها ، ويتعرّض بعضها لمحاولات الإغلاق وتغيير الهويّة التاريخية للمكان ، كباب القطانين المجاور لسوق القطانين ، حيث أقام العدو مستوطنات مجاورة للتضييق على المسلمين ودفعهم للهجرة من أرضهم تمهيدًا للسيطرة عليها.

باب العامود

باب الرحمة

وما هي إلا ساعات قليلة وبدأ الاقتحام..

أفواج تتلوها أفواج من المستوطنين يقتحمون المسجد بلباس أبيض وقبعات صغيرة على رؤوسهم الفارغة إلا من الحقد والشرّ ، دخلوا بحماية الشرطة العسكرية يردِّدون شعاراتهم الحاقدة ويتوعَّدون الفلسطينيِّين بالطرد والقتل والسيطرة القريبة على المسجد الأقصى.

بدأ التكبير من طرف المرابطين ، لم يتوقّفوا عن محاولات صدهم عن المسجد بكل ما أوتوا من قوة ، يقفون أمامهم بثبات تارة أو ينتقلون من مكان إلى آخر تارة أخرى ، بهدف سدِّ كلِّ ثغرٍ يمكن أن يدخل منه العدو ويدنّس المسجد الطاهر.

جُنّ جنون جنود الاحتلال ، فألقوا عليهم قنابل الغاز المسيل للدموع ، وبدأوا بإطلاق النار دون توقف ، ليتساقط الجرحى في كل مكان ، بينما بدأت الاعتقالات في صفوف المرابطين بهدف تشتيت شملهم وهزيمة إيمانهم وإضعاف يقينهم..

- انتبه يا معاذ إنهم قادمون نحونا.

سمع خالد صوت إطلاق نار ، ليُفاجأ بأن تلك الرصاصة قد استقرت في كتفه الأيسر ، وضع يده على كتفه وبدأ بالركض لأقرب نقطة إسعاف ، التفت خلفه ليرى معاذًا وقد أمسك به الجندي وخرج به إلى خارج المسجد وزجّ به في السيارة المصفّحة!

- معاذ.. أخي.. تبًّا لكم ، لن أتركك يا معاذ.

لم يجد خالد نقطة الإسعاف بعد أن بعثرت قوات الاحتلال صفوفهم ونقاط

رباطهم ، ركض بسرعة إلى بيته وجرحه ينزف الدّم وقلبه يدمره الألم والحزن ، فتح باب البيت وسقط مغشيًّا عليه أمام عتبة الباب.

رآه عدنان وقد تضرّجت ملابسه بالدماء ، فزع وثار من هول المنظر ، أراد مساعدته وإنقاذ حياته ، إلا أن القيود منعته من ذلك ، نظر حوله باحثًا عما يقطع به الحبال ، فما وجد شيئًا يصلح لذلك ، لكن فكرة لمعت في ذهنه عندما رأى إبريق الماء الزجاجي بقربه ، أمسك به بيديه المقيدتين وحطمه على الأرض ، أخذ قطعة زجاج مكسور بأصابعه ، وبدأ بحز الحبال على معصميه بصعوبة إلى أن تمكن من قطعها ، حرر قدميه من الأسر وركض مباشرة تجاه خالد.

أدخله إلى فراشه ومزّق ثيابه ونظّف جرحه وربطه بقماش نظيف ليوقف النزف ، غسل وجهه ببعض الماء ، ليستيقظ خالد خائر القوى ، وينظر إلى عدنان وهو يركض يمينًا وشمالًا محاولًا مساعدته بكل الطرق التي يملكها.

- أرجوك يا خالد أعطني رقم طبيب لأستدعيه إلى هنا ليعالجك ، ليتني أعرف شوارع القدس لذهبت للبحث عن طبيب بنفسي..

- اتصل بالطبيب عمر ، رقمه موجود في هاتفي.

اتصل عدنان بالطبيب عمر ، وما هي إلا لحظات وكان في منزله ، أخرج الرصاصة من كتفه بصعوبة ومشقة ، كاد صراخ خالد أن يفقد عدنان صوابه ، لفّ الطبيب جرحه بعد أن قام بخياطته ووضع له بعض المراهم ، وأعطاه حقنة تسكّن ألمه ، وأعطى عدنان أدوية ليشرف على تمريض خالد بنفسه وانصرف.

غطّ خالد في نوم عميق ، بينما توجه عدنان للمطبخ ، فتح الثلاجة ليجد بعض الخضار وقطعة لحم صغيرة ، لا بد له من خوض تجربة الطبخ لأول مرة ،



فخالد في وضع حرجٍ ولا بدَّ أن يأكل ما يفيد.

استيقظ خالد من نومِه متألمًا ، وصل صوت أنينه للمطبخ فسارع إليه عدنان ليجد حرارته قد ارتفعت من جديد ، وضع قماشة مبلَّلة باردة على جبينه وأعطاه الدواء ، أحضر له صحن طعام وحاول أن يُجْلِسَه على مهل.

- ستأكل اليوم طعامًا لم تتذوق مثله في حياتك يا خالد.

بصراحة.. حتى أنا لم أتذوق مثله ، فهذه أول مرة أجرب فيها طبخ الطعام.. لكن النتيجة تبشّر بمستقبل جيد لي في عالم الطبخ.

- من أنت؟ لا تبدو سيئًا كما ظننت! هل حقًا لا تعرف كيف وصلت إلى هنا؟

- تناول طعامك الآن ، سأحكي لك كل شيء بعد أن تزول الحمى ، اهدأ ولا ترهق نفسك.

- ما هذا؟ هل وضعت السكر بدل الملح؟ رغم ذلك لا يبدو سيئًا ، سآخذ الوصفة منك عندما تعود لي قوّتي.

- وهل تظن أنني حفظت طريقة التحضير؟ كنت أضع في القدر كل ما وجدت في ثلاجتك من خضار ولحوم!

ارتفعت أصواتهما بالضحك ، لتطوى صفحة العداء وتفتح صفحة صداقة جديدة.

بعد ساعات شعر خالد بالتحسّن ، وتحدّث عدنان عن مشكلته وطريقة وصوله إلى بيته محاولاً أن يثبت صحة كلامه بكل الطرق الممكنة.

- هذا ما حصل يا خالد ، وممتلكاتي عندك ، يمكنك التأكّد من صحة أقوالي

من اطلاعك على نقودي فهي ليست ذات النقود التي تستعملها في فلسطين ، افتح هاتفي لترى أرقام الهاتف التي أتّصل بها يوميًا لتتأكّد أنها لبلد غير بلدك ، افتح محادثاتي مع أصدقائي لتنظر بنفسك أنني أعيش في بلد آخر.

فتح خالد جوال عدنان ليتفاجأ بصدق قوله ، نظر للساعة والتاريخ فإذا هو متوقف عند لحظة وصول عدنان إلى بيته ، لا يوجد شبكة في الهاتف والاتصال فيه لا يعمل.

- أمرك عجيب يا عدنان ، لا تقلق أنت في أمان عندي.

- أعلم هذا فيبدو أنك رجل طيب ، قلقي فقط على أمي وأبي ، لا أعلم الحال التي هم عليها الآن ، أظن أن أبي غاضب مني ولا يريد رؤية وجهي ، يالي من ولد سيئ! لم أفلح في دراستي ولا عملي ولا حتى برّ والدي ، أكبر همّ أحمله وصولي للشهرة واكتساب المال من أمور سخيفة بلا وزن وقيمة.

- أنت لست سيئًا يا عدنان ، فرغم أنني أوسعتك ضربًا وقيّدتك في الزاوية إلا أنك أنقذت حياتي وأحسنت إليّ ، أنت ولد شهم صاحب مروءة ونخوة ، رجوتنا لتذهب معنا إلى الأقصى يوم الاقتحام لوجود الخير وحبّ الدّين في قلبك ، أنت ولد طيب يا عدنان فلا تجلد نفسك باللّوم والعتب.

- فما تفسيرك للتوتر المستمر بيني وبين أبي؟

أطرق خالد رأسه بحزن ، أخذ نفسًا عميقًا وسكت لبرهة كأنه يسترجع ماضيًا مؤلمًا عاشه من قبل

- هكذا كانت علاقتي بوالدي قبل أن يزجّوه في السجن ، وكم أتمنى أن يخرج



لأصلح ما أفسدت ، اسعَ لرضى أبيك قبل أن يُحال بينك وبينه يا عدنان ، فما أشدّ ألمك وقتها.

والدي تاجر في سوق البلدة ، رجل طيب شهم ذو خلق ودين ، إلا أنه كان كثير الانشغال لا أراه إلا قليلًا ، فإذا دخل البيت بدأ بأسئلته المعتادة عن دراستي التي لا أحب ، عن صلاتي وحفظي للقرآن ، عن أصدقائي وأماكن خروجي معهم ، ولا يخلو كلامه عند تقصيري من اللوم والحزم والشدة ، مما يؤدي لتوتّر علاقتي معه في أغلب الأحيان.

كثيرًا ما كنت أعجب من عبوسه المستمر ، في حين كانت ضحكاته تسعدني وتملأ حياتي تفاؤلًا إن رأيتها صدفةً ، أشعر وقتها أن الشمس قد أشرقت وأن الكون بأسره لم يعد يتسع لي.

إلى أن بدأت الانتفاضة ، وبدأ العدوّ باعتقال الناشطين فيها ، وكان لأبي دور عظيم في تمويلها والوقوف في الصفّ الأول ، وفي ليلٍ كئيب سلبوا مني قوّتي وسندي وسيد قلبي ، وإلى الآن لم يعُد..

اعتدت بعدها أن أرابط مع أمي في المسجد الأقصى لصدّ الاقتحامات المتتالية من المحتلّين الظالمين ، ونستعيد أرضًا ارتوت بدماء الشهداء حين فتحها عمر بن الخطاب والصحابة الكرام لتكون جزءًا من أمّة الإسلام ، وحرّرها صلاح الدين الأيوبي من الصليبيين بعد أن بقيت محتلة عشرات السنين ، لنفقد قدسنا من جديد ونحمل مسؤولية استردادها على عاتقنا ونعيدها نقيَّة طاهرةً ، هكذا علّمتني أمي وهذا كان همّها وشغلها ، لأفقدها هي الأخرى في العام الفائت شهيدة في سبيل الله أثناء أحد الاقتحامات ، وها أنا اليوم وحيدًا كما ترى..

وعندما وصلت لهذا الحال البائس اكتشفت أسرار أبي التي لم أكن أفهمها مطلقًا..

كان يصرّ على تفوقي في دراستي لعلمه بحاجتي المُلحّة للعلم ، فهو أساس نهضة أمتي أولًا ، وأساس رفعتي وكفايتي المالية ثانيًا ، وهو لن يدوم لينفق عليّ للأبد ، وهذا ما حصل ، ها أنا اليوم أعتاش من إيجار دكّانه ، يدفع لي المستأجر شهرًا ويُمسِكُ شهرين ، وبالكاد أجد ما يكفيني ، لكني سأكمل دراستي ولن أتوقف بإذن الله.

كان حازمًا في شأن التزامي بالصلاة وقراءة القرآن وحفظه ، لعلمه بأن الأب سند مؤقت وقوة لا تلبث أن تزول ، أراد أن يطمئنّ عليّ ويراني أستمدّ قوّتي من القويّ المتين الذي لا يزول ولا يفنى ، أراد أن أكون قويًا بالله ، عزيز بالتزامي بأمره ، غنيًّا بقربي منه وتوكّلي عليه ، لو لم أعتد الصلاة بين يديه وتفويض أمري إليه لما وجدتني إلا مجنونًا أتسكّع في شوارع القدس ، لكن رحمة الله وسعتني وقوته ثبّتتني والحمد لله..

عرفت أن إلحاحه بترك صحبة السوء حماية لي في زمن الفتن من الضياع ، وتشجيعه لي على صحبة معاذ الطيب رغم فقره هو الخير لي ، فحتى بعد فقد أبي وانخفاض مستوى معيشتي تمسّك بي ووقف إلى جانبي ، مرح ضحوك طيّب القلب ، ينصحني عندما أخطئ ويربّت على كتفي عند الضيق ، يزورني كل يوم ويطمئن عليّ ، نصلّي يوميًا في الأقصى ونرابط لحمايته كتفًا بكتف ، شُلّت أيديهم أولئك الجنود ، والله لن أتركه لهم أبدًا.

عرفت أن عبوس أبي المستمر لأنه يحمل همّ أمة بأسرها لا همّي فقط ، نعم كان مخطئًا في هذا ، فقسوته عليّ ليست الطريقة الأفضل لتحرير فلسطين ، إلا أنني أحبه رغم ذلك ، وأسامحه من كل قلبي ، وهل ينبغي أن يكون آباؤنا ملائكة لنحبّهم ونبرّهم؟ من هو الذي يملك أبًا بلا أخطاء أو أمًّا لا تزلّ كباقي البشر؟ وهل أمرنا الله ببر الوالدين إلا لعلمه بما يعتري علاقتنا معهم من توتّر بسبب أخطائنا وأخطائهم وهفواتنا وهفواتهم واختلاف طباعنا وأفكارنا؟

أراد الله أن يعلّمنا أنّ ما قدّموه لنا في تربيتنا من حب ونفقة وجهد أعظم من أن ننساه لتوتّر مؤقّت أو لخطأ ارتكبوه في حقنا ، وهذا والله هو القسط الذي يستحقوه ، والوفاء من خلق الكرام.

لا تنظر إليَّ باستغراب وذهول عدنان ، فشدّة الأيام جعلتنا أكثر وعيًا وفهمًا وإدراكًا لمعنى الحياة ، كل الناس يكبرون في العام سنة واحدة ، أما نحن في فلسطين فنكبر في العام سنوات..

هيا لنفكّر بطريقة لتحرير معاذ..

- وهل تريد تحرير معاذ حقًّا؟
- هل تظنني أمزح؟ هل تتوقّع أن أتخلّى عنه؟ لا يزال ذلك ممكنًا إن أدركناه قبل أن يتم نقله إلى السجن المركزي ، فهو لا يزال في فرع الشرطة في البلدة غالبًا.
- إذًا فالوقت لا يتّسع لخطط طويلة الأمد.



- لا ، البتّة ، علينا أن نتحرّك بسرعة!

- وما الحل برأيك؟

- لا أعلم يا عدنان ، عقلي لا يتوقف عن التفكير.. لكنّي لم أصل إلى نتيجة بعد ، عليّ أن أعلم وقت نقله للسجن المركزي وأريد معلومات عن عدد الجنود وتوزّعهم داخل مركز الشرطة.

أطرق عدنان مليًّا محاولًا مساعدة خالد في إيجاد خطة ، وما لبث أن صاح:

- يمكنني ذلك ، هذا الجزء من الخطة تنفيذه عليّ.

نظر له خالد بدهشة وعيناه تلتمعان فرحًا واستبشارًا

- كيف ذلك؟

- تعلّمت في الفترة الماضية كيف أخترق مواقع الإنترنت والبريد الإلكتروني وغيرها من أمور في عالم الهَكَر ، دفعني لذلك محاولاتي المستمرة لاختراق حسابات أصدقائي الذين تحوّلوا فجأة إلى «يوتيوبرز» محاولين تقليدي وسرقة أفكاري ، فأردت اختراق أجهزتهم وإيقاف حساباتهم.

الحمد للّه أنني سأستخدم مهاراتي بالخير هذه المرة!

- يا ولد!! وما يضرّك افتتاحهم لقنوات مثلك؟! دعنا منهم الآن ولنبدأ العمل.

- أعطني بيانات عن مركز الشرطة ، وسأحاول إيجاد المعلومات التي تريد.

وبدأ عدنان العمل ، ساعات طويلة مرّت وهو يحاول ويجرّب ، بينما جلس



خالد في فراشه متعبًا متألمًا ، وبالرغم من ذلك لم يتوقّف عن مراسلات أصدقائه والاتفاق معهم على خطة..

– ما الذي ستفعله يا خالد إن وجدت لك المعلومات التي تريد؟

– ما زلت أدرس الموقع والاحتمالات التي يمكن أن تحدث وطريقة التعامل معها ، سأخبرك بكل شيء عندما أنتهي.

استمر الاثنان بالبحث والعمل ، إلى أن انتفض عدنان قائلًا:

– معكم الهَكَر عدنان الخارق ، لا شيء يقف في طريقي ، تهكير حسابات تدمير مواقع واختراق حواسيب وجوالات ، وصلت لداخل مقرّ الشرطة وها أنا أتصفح المعلومات بسهولة يا عمّ!

– هل أنت جادّ؟ عمل رهيب يا عدنان ، لا أكاد أصدق!

– انظر هنا ، سيتم نقل معاذ إلى السجن المركزي غدًا في العاشرة صباحًا في سيارة عسكرية مصفحة ، في مركز الشرطة خمسة وعشرين مجنّدًا ، أربعة حرس على الباب والباقي في الداخل في وظائف مختلفة..

– ما أسعدني بوجودك اليوم ، أحببتك يا فتى.

سأبدأ التنسيق مع الشباب لإنقاذه حسب هذه المعطيات.

– هناك كاميرات مراقبة ونظام إنذار ، سأحاول البحث عن طريقة لتعطيلها قبل العمليّة بلحظات.

– ممتاز ، نعتمد عليك ، بارك الله فيك

باشر خالد اتصالاته بكثافة واجتهاد..

- مرحبًا أبا مؤيد ، لديّ المعلومات المطلوبة ، تعال لنبدأ المرحلة الأولى خلال الليل ، وموعدنا مع بقية الشباب لإكمال بقية المراحل غدًا في التاسعة تمامًا في المصلّى المرواني في المسجد الأقصى.

تعال يا عدنان لنتفق على الخطة.

المصلى المرواني



فتح خالد خريطة مركز الشرطة من برنامج تحديد المواقع.

- انظر هذا هو مركز الشرطة ، تظلّله شجرة صنوبر ضخمة وبجواره منحدر صغير.

ما سنفعله اليوم أننا سنذهب ليلًا لتعليق كاميرة مراقبة على شجرة الصنوبر ، ونكمل المهمة غدًا.

- من أين سنأتي بها؟

- أبو مؤيد سيحضرها بعد قليل ويشاركنا المرحلة الأولى من العملية

- حسنًا ، سأكمل عملي ريثما يصل.

حلّ المساء ، وبعد صلاة العشاء وصل أبو مؤيد.

تمامًا كخالد ، شاب في مقتبل العمر ، عضلات مفتولة ، منكبين عريضين وجسم قوي ، يحمل كيسًا بلاستيكيًا أسود.

- أهلا بك أبو مؤيد ، هذا صديقي الجديد عدنان ، صديق هبط إليّ من الفضاء الخارجي.

- أهلًا عدنان ، تشرفت بمعرفتك ، مرحبًا بك في مجموعتنا.

ما هذا المزاح يا خالد؟ إذن نزل عليك من الفضاء! مضحك كعادتك ، لم تخبرني كيف حال جرحك؟

- الحمد لله بخير ، عدنان يهتمّ بي بشكل جيد.

- شفاك الله وعافاك ، سأذهب للعملية مع عدنان ، ابق في المنزل لترتاح.

- ماذا؟ أنا بخير وسأكون أول من يخرج من هذا البيت..

- اسمع كلامي واهتم بصحتك ، نريدك بيننا قويًا معافىً يا خالد.

- إن لم أذهب معكم فلن أحكي لكم خطتي.

- حسنًا سيّد كونان ، جهز نفسك.

بعد قليل تجهّز الثلاثة للانطلاق ، خالد وعدنان وأبو مؤيد.

- طريقنا يمرّ من المسجد الأقصى ، ما رأيك يا عدنان أن نمرّ ونصلي ركعتين في باحات المسجد لتراه لأول مرة؟

- سيكون الحدث الأجمل في حياتي ، هيا يا خالد..على بركة الله.


الفَصلُ الثالث



كانت الجولة الأولى لعدنان في شوارع القدس ، شعر أنه يعيش في صفحات التاريخ عندما تجول في البلدة القديمة ورأى أسواقها الأثرية تجاور الحرم القدسي الشريف ، سوق اللحّامين والعطّارين ، وسوق الحصر والبازارات ، وباب خان الزيت والخواجات وغيرها..

شوارعها صغيرة ، وعلى جوانبها محلّات تعتليها منازل أسقفها مقبّبة ، بنيت في العهود الإسلامية المختلفة قبل أن يسيطر عليها الاحتلال ، فغير بعض ملامحها وطمس أخرى وبنى مكانها أحياء على طراز حديث.



شارع في أحد أحياء القدس

- انتبهوا حاجز تفتيش.

حذّرهم أبو مؤيد..

– تصرّف بشكل طبيعيّ يا عدنان ، إياك أن تظهر الخوف والتوتّر أمامهم وإلا ستقضي الليلة مع معاذ.

ارفع رأسك ولا تنحني ، حافظ على عزّة المسلم في نظرتك ومشيتك ، فهؤلاء قد ضربت عليهم الذِّلة من الله فلا عزّ لهم بعدها ، ولولا سلاحهم لما تجرؤوا على الوقوف أمامنا.

– حسنًا يا خالد ، هذه أول تجربة لي في الوقوف أمامهم ، أسال الله الثبات.

– هذا الشاب غريب عن البلدة يا خالد ، من أنت يا هذا؟

صاح به جندي الاحتلال ، فتسارعت دقّات قلب عدنان وتلعثم في جوابه ، ليتدارك الموقف أبو مؤيد.

– ابن خالي قادم من رام الله ، سنتجوّل في باحات المسجد ونعود.

– معكم ساعة واحدة فقط وسأغلق طريق العودة.

– لن نتأخّر.

– حسنًا يمكنكم المرور!

وأكمل الثلاثة طريقهم ليدخلوا المسجد الأقصى المبارك.

كانت مشاعر عدنان في اللحظات الأولى له داخل المسجد مشاعر رهبة وتعظيم وشوق وحبّ لمسجدٍ طالما ارتبط اسمه في مخيلته بمعاني القداسة

والعظمة ، مصحوبة بمشاعر الألم والوجع ، والشوق لتحريره من أيدي المحتلين..

حاول إمساك دموع عينيه حتى لا تنهمر ، في حين أبَتْ حشرجات صدره إلا أن تُفصح عن اضطراب مشاعره ، فكانت كلماته تخرج مرتجفة تهتز مع كل نبضة من نبضات قلبه..

- ما أجمله وما أعظمه! كم كنت أحلم بزيارته كلما رأيته على التلفاز ، لا أصدق أنني أتجوّل بين قبابه اليوم!

أمسك أبو مؤيد يده بقوة وقال:

- تعال لترى قبة الصخرة درّة المسجد الأقصى ، الأكثر شهرة بين قبابه ، تلك القبة التي تمنح المسجد جوًّا قدسيًا لا تعيشه في مكان آخر على وجه الأرض ، إنما تعيشه هنا وفي الحرمين الشريفين فقط.

وهذه قبة الصخرة ، ما رأيك؟





-الحمد للّه الذي أكرمني بهذا اليوم ، لا يمكنني وصف شعوري!

-انظر هنا ، هذه قبة السلسلة بقربها ، كمجسم مصغر عن قبة الصخرة ، وهذه قبة المعراج ، وهذه قبة النبي صلّى اللّه عليه وسلم ، يقال إنها بنيت مكان صلاة النبي صلى اللّه عليه وسلم بالأنبياء ليلة أسري به.

يقول تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [سُورَةُ الإِسرَاءِ: ١]

ذاك اليوم العظيم الذي فُرضت فيه الصلاة من فوق سبع سماوات ، لننعم بالقرب من اللّه والصلاة بين يديه خمس مرات في اليوم ، فتطمئن نفوسنا وترتاح ، ونلجأ للّه مما نخاف من بطش المجرمين ، ونستعين به على مصاعب الدنيا وشدتها ، ونلجأ له للنجاة في الآخرة من عذاب النار والفوز بجنات النعيم.

– لهذا أراكم ثابتين صابرين رغم أن حياتكم معرضة لخطر الاعتقال والموت في أي لحظة ، أنتم أقوياء بحفاظكم على الصلاة وقربكم من اللّه

يا إلهي ، كم فرّطت في هذه القوة الإيمانية التي تمنح الإنسان ثباتًا واطمئنانًا لا يجده في أي مكان وفي أي طريقة أخرى في هذه الدنيا.

– انظر يا عدنان ، هنا صلّى رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم بالأنبياء عليهم أفضل الصلاة والسلام ، صلى ومن خلفه آدم ونوحًا وإبراهيم وموسى وعيسى وغيرهم من الأنبياء ليعلّموا كل الناس أن الدين عند اللّه الإسلام.

– هل تعني أن كل الأنبياء يدعون للإسلام يا خالد؟ أليس عندهم كتب



سماوية تختص بكل نبي وأتباعه ، كالتوراة والإنجيل والزبور وصحف إبراهيم وموسى؟

- بلى يا عدنان ، تشترك كل الرسالات في كل العصور بكونها تحمل عقيدة التوحيد وتدعو لعبادة الله وحده ، وتدعو للإيمان بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، وهذه هي عقيدة الإسلام كما تعلم.

في حين تختلف فيما بينها بالتشريع كالعبادات والمعاملات والأحكام التي تنظم حياة الناس.

وأنزل الله تعالى القرآن مُؤيِدًا للحق الذي في التوراة والإنجيل ، ومُصحِحًا لما فيهما من الباطل الذي حصل نتيجة التحريف في تلك الكتب ، وكان محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء ، أمر الله تعالى كل الناس باتّباعه والإيمان بالقرآن الذي أنزل إليه ، حتى أصحاب الديانات السماوية الأخرى أمرهم الله بالإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم في كتبهم من قبل بعثة رسولنا الكريم بمئات السنين.

فلا يرضى الله لعباده اليوم إلا الإسلام عقيدة وتشريعًا ، فنحن نؤمن بالكتب والرسل كلّهم ، لكننا نؤمن أيضًا أن الله لا يقبل من عباده اليوم إلا أن يكونوا مسلمين متّبعين للقرآن الكريم ونبينا محمد عليه الصلاة والسلام.

نظر أبو مؤيد نحو مُصلَّيات المسجد الأقصى ، مصلى البراق ، قبة الصخرة ، المغاربة ، القبلي ، المرواني ، الجنائز ، ومصلى الأقصى القديم وقال:



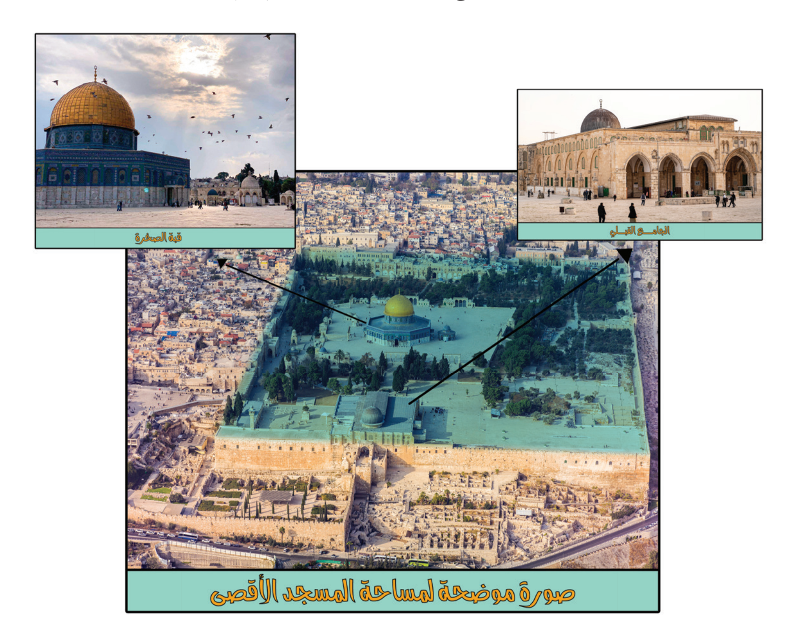
- مُصلَّيات المسجد مغلقة في هذا الوقت ، سنتجوّل في باحات المسجد ونصلي ركعتين ، ونخرج من الباب الخلفي.

هل تعلم أن أجر الصلاة في المسجد الأقصى يساوي أجر مئتين وخمسين صلاة في غيره من المساجد؟ عدا المسجد الحرام والمسجد النبوي طبعًا.

- أجر عظيم جدًا!! هنيئًا لكم.

لكن المصليات مغلقة ، كيف سنكسب هذا الأجر ونحن لا نتمكن من دخولها؟

- المسجد الأقصى كل ما تراه حولك داخل السور الخارجي ، وليس كما تظن أنه مسجد قبة الصخرة أو المصليات الداخلية ، بل كل هذه الباحات والقباب والمساجد والمدارس والمكتبات وأسبلة المياه وغيرها من المعالم داخل السور كلها أجزاء من المسجد الأقصى لا نفرّط بأي جزء منها ولا نتنازل عنه ، ولنا أجر الصلاة مضاعف في كل شبر من هذا المسجد الكبير.



صورة موضحة لمساحة المسجد الأقصى

- الحمد للّه الذي هداني للإسلام ، أعيش بنعمة عظيمة لم أشعر بقيمتها إلا اليوم ، كيف لي أن أشكر اللّه على هذه النعمة؟

ابتسم أبو مؤيد طويلًا وهو يتأمل ما حوله من أشجار ضخمة ونوافير يتدفق منها الماء رقراقًا نقيًّا كقلوبهم المخلصة وقال:

- اشكره بلسانك كل يوم يا عدنان ، واشكره بعملك الصالح والتزامك أمره وترك ما نهى عنه ، اشكره بالدفاع عن أرضك وهويتك وفخرك بانتمائك لهذه الأمة العظيمة ، اشكره بحماية هذه المقدسات التي هي أمانة في رقابنا..

هذا المسجد الأقصى الأسير الذي نحميه بدمائنا اليوم هو حق للمسلمين الموحدين للّه ، لا لغيرهم ممن يشركون به ، وصار لزامًا علينا حماية هذه الأرض المقدّسة لتبقى أرض توحيد للّه تعالى ، يصدح فيها الأذان ليملأ الدنيا بجلاله وجماله ، يُطرب الأرواح حين ينساب إليها برقّة مع كل فجر جديد ، ويثبت القلوب والأقدام حين يرتفع صدّاحًا والرصاص ينهمر فوق الرؤوس ، عهدًا علينا أن نفديه بأرواحنا وألّا نتركه لعدونا ما دام فينا قلب ينبض.

هذا المكان هو القبلة الأولى للرسول صلى اللّه عليه وسلم وصحابته الكرام ، فكانوا يصلون نحوه ستة عشر شهرًا ، يوجهون إليها وجوههم وقلوبهم وأرواحهم نحو هذا المكان المقدس ، قبل أن تتحول القبلة إلى الكعبة المشرفة.

هيا لنصلي ركعتين ونسأل اللّه التوفيق في عملنا ، واسألوه المغفرة فربما كانت هذه صلاتنا الأخيرة بعد هذه العملية الخطرة.

الجامع القبلي

بعد دقائق من الصلاة والدعاء انطلق الثلاثة نحو مركز الشرطة خارج المسجد في حارات البلدة القديمة ، للبدء بالمرحلة الأولى لتحرير معاذ.

- إياكم أن تصدروا صوتًا ، خطأ واحد كفيل بموتنا.

- حسنًا يا خالد ، سأتسلّل إلى هناك وأصعد إلى الشجرة وأعلق آلة التصوير ، ابق هنا مع عدنان واهربوا بسرعة إن أمسكوا بي.

- لن نتركك هنا مهما حدث.



وتسلّل أبو مؤيد بهدوء ، بخفة ورشاقة قفز إلى الشجرة كأنه هرّ قضى عمره يقفز بين الشجر ، تجاوز الأغصان واحدًا بعد الآخر إلى أن وصل إلى غصن مطلّ على ساحة مركز الشرطة ثبت آلة التصوير وعاد أدراجه بسلام.

- أنت رائع يا أبا مؤيد.

- هيا لنرجع ليس هذا وقت المديح.

وبعد أن تجاوزوا المكان تنفّسوا الصعداء وكأن جبلًا قد أزيح عن ظهورهم

- الحمد لله ، تمّت الخطوة الأولى بنجاح ، ليعد كل منا إلى منزله ، نلتقي غدًا عند التاسعة صباحا في المصلى المرواني كما اتفقنا ، لا تنسَ سيارة التحكّم عن بعد خاصتك يا خالد.

- لن أنسَ بالتأكيد..

رافقتكم السلامة.

★★★

وصل عدنان وخالد إلى البيت ، ليتجه خالد نحو فراشه ويستلقي عليه مطلقًا آهات من الألم والتعب ، وتبدو على ملامحه بداية نوبة جديدة من الحمى.

– لقد أرهقت نفسك يا خالد ، لم يكن ينبغي أن تخرج معنا أصلًا ، خذ تناول دواءك.

– ماذا أعددت لنا على العشاء يا عدنان؟ هل في بالك خلطة سحرية نأكلها كيوم أمس؟

– أعجبك طبخي بالأمس بلا شك حتى تريد اليوم طبخة أخرى ، ثلاجتك فارغة تقريبًا والمحلات مغلقة في الليل ، بيضتان مقليّتان مع بعض الزيتون يكفينا اليوم ، سأؤجل إبداعي في الطبخ للغد إن شاء اللّه ، جهّز بطنك للمفاجأة.

– لا بأس ، أسرع أكاد أموت جوعًا.

– تحت أمرك يا بطل.

وبعد تناول العشاء..

– تفضل يا خالد ، كوب شاي دافئ مع النعناع ، يدفئ قلبك ويهدئ أعصابك

– اللّه.. ما ألذّه.. يشبه شاي أمي.

– رحمها اللّه..

وساد صمت طويل ليقطعه خالد بسؤاله:

– مالك يا عدنان ، هل تفكر بيوم الغد؟ هل أنت خائف؟

– خائف بعض الشيء ، فأنا لم أجرّب عيش لحظات «الأكشن» هذه إلا في ألعاب الفيديو!



لكن ما يشغل بالي أكثر هو الفرق بين حياتي وحياتك! أشعر أن حياتك هنا ذات معنى وهدف أكثر من حياتي.

حزين أنني أعيش بعيدًا عن المسجد الأقصى ، ربما لو كنت أعيش هنا لكانت حياتي تشبه حياتك!

- لهذا الأمر دور كبير في تكوين أفكارنا وشخصياتنا بلا شك.

فعندما تعيش في أرض مقدّسة وفيها مسجد يحمل رمزية وقدسية كالمسجد الأقصى لا بد أن يترك هذا في نفسك أثرًا عظيمًا ، ويزيد الأثر قوة في نفسك وجود محتلين لأرضك يحاولون تدنيس مقدساتك وتدنيس المسجد الأقصى ، فتشعر أنك أنت المستهدف في ذاتك لشعورك أن هذه المقدّسات وهذه الأرض جزء من قلبك وروحك وكيانك.

نحن كمسلمين ننتمي في هويتنا إلى هذه المقدسات لأن الله تعالى جعلها مقدسة في ديننا ، لكن حتى أنت تنتمي لها حتى وإن كنت تعيش بعيدًا عنها.

- هل هذا صحيح؟ مع أنني لست فلسطينيًّا!

- نعم ، فنحن نضحّي لأجل المسجد الأقصى لأننا مسلمون.. لا لأننا فلسطينيون!

أنا وأنت إخوة في الدين يا عدنان ولو فرقتنا الحدود المصطنعة وأبعدتنا المسافات ، كلانا ننتمي لأمة الإسلام ، هي هويتنا الحقيقية التي يحاول العدو طمسها بشتى الطرق.

فجعل بيننا كمسلمين حدودًا مصطنعة ووجه اهتمامنا ليعتز كل منا بانتمائه إلى الهوية الجديدة التي رسمت ملامحها تلك الحدود المخترعة ، فصار يفخر

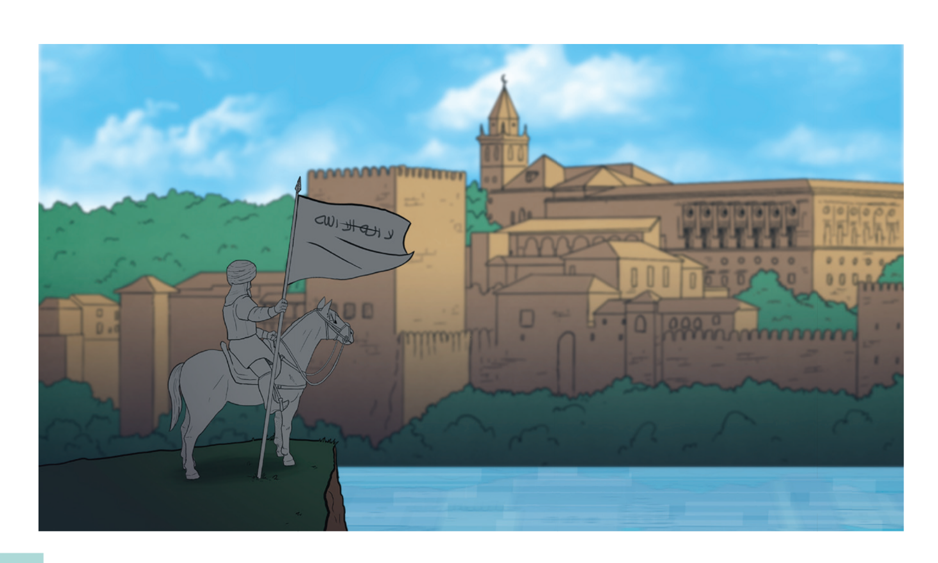
أحدنا بانتمائه لمصر أو سوريا ، ليبيا أو تركيا ، السعودية أو باكستان ، أو أي هوية وطنية أخرى ، في حين نسينا مع مرور الزمان أننا إخوة مسلمون!

- نعم يا خالد ، لم أشعر من قبل بانتمائي إلى أي مكان خارج بلدي الذي ولدت فيه.

- أنت في الحقيقة تنتمي لأمة عظيمة يا عدنان..

أنت وكل مسلم ابن دولة الخلافة الراشدة ، ابن الدولة الأموية والعباسية والعثمانية ، تنتمي في تاريخك العريق إلى معركة بدر الكبرى وغزوة الخندق ، وتمتد عظمة أسلافك إلى معركة حطين ومعركة ملاذ كرد الشهيرة ، أنت ابن الحضارة الأندلسية العريقة التي امتدّت ثمانية قرون على أرض أوروبا..

- شاهدت مرة الآثار الإسلامية الأندلسية في إسبانيا ، تحمل من الجمال والروعة وإتقان الصنعة ما يدل على رقيّ بنائيها وعظم حضارتهم فعلاً.





لأنها تشكل جزءًا من هويتنا ، لأننا عندما نمشي في أزقتها نشعر بانتمائنا لتاريخ عريق عمره أكثر من ألف وأربعمئة عام ، تاريخ يحمل معاني الحضارة والعظمة والرقي لأمة عظيمة لم يعرف التاريخ مثيلًا لها في عظمتها وعدلها وسموّ قيمها ومبادئها ، لهذا يحاول تغييرها باستمرار ويجتهد في فصلنا عن هويتنا الحقيقية لننسى مع الوقت أننا ننتمي لأمة عظيمة كأمتنا.

في حين يبدو الأمر أكثر سهولة في دولة أخرى لا يوجد فيها معالم تاريخية بهذا الزخم وبذات القدسية ، فيكفي في دولة كدولتك أن يتم توجيه اهتمام الناس إلى جمع الثروات ونشر ثقافة الاستهلاك والسعادة بالماديات ، أو إشغالهم بالأفلام والمسلسلات الهابطة والألعاب والمهرجانات الترفيهية ، وتغيير قيمهم ومبادئهم لتشبه القيم والمبادئ الغربية من حب للشهوات والغرق فيها ، وزلزلة عقيدتهم ودينهم بالفتن والشكوك المختلفة ، وتلميع صورة المشاهير من غير المسلمين في عقول الجيل الصاعد والشباب ، لتصبح الحضارة الغربية برموزها ولغتها وشكلها ومبادئها هي النموذج المفضّل للشعوب.

أو ربما عملوا على تفقيرهم وتجويعهم ليصبح حلم الواحد منهم تأمين أبسط متطلّبات الحياة.

– صدقت يا خالد ، فصور مشاهير البوب ولاعبي فريق «برشلونة» تملأ غرفتي ، ملابسي لا أشتريها إلا من أفخم الماركات الأجنبية لأكون شبيهًا بمشاهيرهم من فنانين ومطربين ولاعبي كرة القدم وغيرهم.

– هذا بالضبط ما يريدون ، أن تنسى نفسك ، وهويتك ، ولغتك ، وثقافتك ، ودينك ، وانتماءك.

لـو فكرنـا مليًّـا بالروابط الـتي تجمـع بيننـا وبـين أحـد مشـاهير الفـرق الكوريـة الشـهيرة ، أو نجـوم الغـرب مـن فنانـين ورياضيـين ، هـل سـنجد بيننـا وبينهـم روابط مشـتركة تشـعرنا بالانتمـاء لهـم؟ هـل يكفـي أن يعجبنـا شـكل أحدهـم أو طريقـة تمثيلـه ولعبـه لنحبـه ونجعـل منـه قـدوة ونعلّـق صـوره علـى الجـدران ، ونقلّـده في لباسـنا وسـلوكنا وأسـلوب حياتنـا!

تـرى ، هـل يعلمـون أن فلانًـا في أرض المشـرق يحبهـم؟ مـاذا لـو التقينـا بأحدهـم يومـ ؟ هـل سـيقيم لنـا وزنًـا؟

لا أظن لك.

الأمـر أخطـر بكثـير ممـا تظـن يـا عدنـان ، يقـول رسـول الله صلـى الله عليـه وسـلم: (مـن تشـبَّه بقـومٍ فهـو منهـم) ، فتشـبّهنا بالصالحـين يجعلنـا منهـم بالهويـة والانتمـاء ، وإن تشـبّهنا بمشـاهير لا يعرفـون الله غارقـين بالشـهوات حـد التخمـة ، فنحـن منهـم بهويتنـا وانتمائنـا وتصنيفنـا. وأي خسـارة أكبـر مـن أن تكـون عنـد الله تشـبه ذلـك الفاجـر!!

- نعم صدقت..

يمكنـني أن أعتـرف أمامـك بأمـر لا أعتـرف بـه أمـام والـدي ، حـبي لمشـاهير الفـن والطـرب وتقليـدي لهـم في لباسـي وقصـة شـعري يشـعرني بالفخـر لأنـني أشـبه ذلـك الـذي ينتمـي لتلـك الحضـارة القويـة المتطـوّرة ، لكـن هـذا الشـعور يسـلب مـني حـلاوة الإحسـاس بالقـرب مـن الله ، ويقـف حائـلًا بيـني وبـين التقـرّب مـن أهـل القـرآن علـى الرغـم مـن أنهـم يتـودّدون لي بالـكلام الطيـب ، ويمنعـني مـرّات كثـيرة مـن الدخـول لمسـجد الحيّ ، في حـين أنـني لـو كنـت في لباسـي المعتـاد أسـتطيع دخـول

المسجد وأداء الصلاة دون أن أشعر بوجود حاجز نفسي بيني وبين هذا المكان وأهله.

- نعم يا عدنان ، سَمْتُنا وشكلنا الخارجي يعبر عن أفكارنا وقناعاتنا ، ويدفع بنا للانخراط مع من يشبهنا ، فغالبًا يبحث كل منا عمن يشبهه ليشكل معه علاقات صداقة متينة ، ويا لسعدك إن كانت صداقاتك تعينك في دربك إلى الله.

- صداقاتي!.. آه يا خالد..

- هيا إلى النوم يا عدنان فأمامنا عمل شاق في الغد إن شاء الله.

- تصبح على خير.

...


الفَصلُ الرابع



في اليوم التالي:

- أراك استيقظت مبكرًّا يا خالد ، لم يطلع الفجر بعد!

- ما أيقظك في هذا الوقت أيقَظني ، دعنا نكمل التجهيزات ، هل وصلت لطريقة اختراق نظام المراقبة والإنذار؟

- نعم ، لكنني لن أوقفها إلا قبل بَدء العملية بلحظات حتى لا ينتبهوا لوجود خطر..

- ممتاز

- سنصلّي الفجر بعد قليل ، ثم لنقُم ببعض التدريبات لتنشيط أجسامنا.

- تدريبات! وأنت مصاب؟

- الإصابة في كتفي الأيسر فقط ، أما يدي اليمنى فيمكنني هزيمتك بها بسهولة.

- لن أتجرأ على مبارزتك رغم أنك مصاب فعضلاتك المفتولة تحكي لي النتيجة قبل أن أبدأ!

- عضلاتك في عقلك يا عدنان ، أنت ماهر بالعمل على برامج الحاسوب وهذا أمر لا يقل أهمية عن غيره ، لكل منا ثغر لا بد أن يَشْغَله.

- سأشغله بالخير إن شاء الله ، لا باختراق حسابات أصدقائي بعد اليوم.

قالها عدنان بخجل..

- فتىً مضحك رغم كل الكوارث التي تفعلها.

...

مضَت ساعات الصباح الأولى طويلة كأنها سنة ، توتُّرٌ وقلق يحاول كل منهما

إخفاءه بالمزاح والضحك ، والانشغال بالطعام وترتيب الأدوات اللازمة والتأكد من وجودها ألف مرة.

- إنها الثامنة ، دعنا نخرج من الآن حتى لا نتأخر.

- إن كتب الله لي الشهادة يا خالد فاحرص على أن تصل لعائلتي بأي طريقة كانت ، اعتذر لوالديّ عما فعلت ، وأخبرهما أنني صرت شخصًا جديدًا مختلفًا ، أخبرهما أنني أحبهما كثيرًا.

- لا تقلق يا عدنان ، سنعود بخير إن شاء الله ، وستعود لأهلك لتطمئن عليهم عندما نتمكن من حل لغز وصولك إلى هنا ، لكل شيء حل فلا تبتئس يا صديق.

- هيا لنذهب.

انطلقا نحو الطريق بقوة وشجاعة ، كأسدين يزأران في وجه المخاطر وكلهما ثقة بالنصر والظفر ، يعلمان أن الدنيا للأقوى ، وأن الله لا يخذل من توكّل عليه بعد الأخذ بأسباب النصر ، وأن الدفاع عن الأرض والمقدسات عز ، والشهادة شرف وفوز يطمح إليه كل مؤمن.

- ها قد وصلنا يا عدنان ، وها هو أبو مؤيد بانتظارنا.

- السلام عليكم أبا مؤيد ، أين البقية؟

- وعليكم السلام يا خالد ، هيا بنا الجميع بانتظارنا في المقرّ السري.

- لم أعرف أن لديكم مقرًّا سرّيًّا من قبل ، هيا على بركة الله.

انتقل الجميع إلى مخبأ تحت الأرض ، وصلوا إليه بعد رحلة طويلة في سيارة خاصة أغلق أبو مؤيد عينيهما فيها ، وبعد إجراءات معقدة للحفاظ على الأمان والسرية ، سمح لهما برفع الرباط عن عينيهما ، لينظرا حولهما فوجدا وجوهًا ملثّمة ، وأجهزة مختلفة ، وسلاحًا ومتفجرات!

- ما كل هذا أبا مؤيد؟ من هؤلاء؟

- أصدقائي لا تقلق ، شُبَّان في مثل سنك أو أكبر ، بعضهم جامعيون وأطباء ومهندسون ، وآخرون حرفيون وعمال ، تجمعهم قضية مشتركة تساوي بينهم في الوقوف صفًّا واحدًا جنبًا إلى جنب..

- أنت خالد إذن؟!

سأله رجل يبدو أنه أحد قادتهم لجلوسه خلف طاولة عليها دفاتر كثيرة وجهاز كمبيوتر محمول.

- نعم أنا خالد.

- أوصاني أبوك قبل أن يُعتَقَل بضمك إلينا بعد أن تنهي دراستك ، هل أنت مستعد لهذا؟

- مستعد قبل أن أنهي دراستي حتى.

- أسدٌ كأبيك ، بارك اللّه بك ، لم تعرّفني على صديقك!

- عدنان ، صديق جديد بقلب من حديد ، سيتولى مهمة اختراق جهاز الإنذار وكاميرات المراقبة.

- جهزنا كل شيء قبل قدومكما حتى عملية اختراق نظام المراقبة ، لكن لن

أسلب عدنان شرف القيام بالمهمة ، سيشرف عليه أحد الشباب لمساعدته عند اللزوم.

- شكرًا يا عم.

- اطّلعت على خطتك التي رسمتها يا خالد ، خطة ذكية ونحن جاهزون لتنفيذها. ستتولى أنت وأبو مؤيد مهمة الدخول لإنقاذ معاذ بينما نقوم نحن بمهمتنا على أكمل وجه ، والآن لنصلّي ركعتين ونسأل الله التوفيق قبل أن ننطلق.

سارت المجموعة على دفعات حتى لا تلفت نظر الجنود إليها ، وتمركزوا خلف التلة الصغيرة القريبة من مركز الشرطة ، فتح عدنان جهازه المحمول وبدأ بمهمته ، لحظات قليلة وأعلن نجاحه في إيقاف كاميرات المراقبة وتعطيل جهاز الإنذار.

وما هي إلا لحظات حتى تفاجأ الجميع بصوت انفجار قوي في مكان يبدو أنه قريب.

- ما هذا؟ هل كُشِف أمرنا؟

- لا يا عدنان ، إنه جزء من الخطة ، راقب بهدوء.

تراكض الحراس من أمام مركز الشرطة باتجاه مكان الانفجار ، وسارع خالد بإطلاق سيارة تحكُّم عن بعد تحمل على ظهرها زجاجة غريبة ، راقب سير السيارة عبر آلة التصوير التي وضعوها فوق الشجرة الليلة الفائتة إلى



أن وصلت داخل المبنى ، ضغط على زر أحمر لتنفجر السيارة وتطلق الزجاجة فوقها غازًا منوّمًا لينام كل من هم داخل المركز.

وضع كلٌّ من خالد وأبي مؤيد قناعًا واقيًا من الغاز واتجها نحو المركز بعد دراسة طريقة وصولهم إلى السجن من جهاز الكمبيوتر ، وما إن وصلا إلى السجن حتى أخذا المفتاح من جيب الحارس النائم ، كان معاذ يغط في النوم كذلك ، حملاه خارجًا بينما أدخلا الحراس مكانه وأقفلا عليهم باب الزنزانة.

ركضا باتجاه الباب ، لكن مفاجأة كانت بانتظارهم أمام الباب ، ثلاثة عناصر مدججين بالسلاح ينظرون نحوهم بعد أن شعروا بوجود خدعة وعادوا بسرعة نحو مركز الشرطة!

- أين تذهبان مع هذا السجين النائم ، هل تحبان النوم معه في السجن اليوم؟

اقترب الجنود منهم راكضين ليضع أبو مؤيد وخالد معاذًا على الأرض وبحركات سريعة تمكّنا من ضربهم وإسقاطهم أرضًا ، بخاخ مملوء برذاذ الفلفل كان ينتظر دوره في جيب أبي مؤيد ليرشه على وجوههم ، وانطلقا يحملان معاذًا بخفة وسرعة ، ابتعدا أمتارًا قليلة عن المركز لتأتي سيارة مسرعة لتأخذهم إلى المقر السري ، وما إن وضعا معاذًا في السيارة حتى أطلق قناص النار من بعيد لتستقر رصاصة في رأس أبي مؤيد فيغمى عليه ويسقط أرضًا.

صرخ خالد فزعًا من هول المشهد:

- أبو مؤيد أصيب ، يا إلهي ، هيا أسرع وساعدني أيها السائق.



أبو مؤيد انهض أرجوك ، تماسك قليلًا سنصل للمقر ونعالجك.

نزل السائق مسرعًا ليحملاه للسيارة بصعوبة والقناص يطلق الرصاص يمينًا وشمالًا ، مزّق خالد قطعة من ثيابه ووضعها على جرح أبي مؤيد ، كانت الدموع تنهمر من عينيه كالشلال ، تذكّر أمه حين لفظت أنفساها الأخيرة بين يديه برصاصة غادرة ، تذكّر كلماتها الأخيرة ، نظراتها الأخيرة ، آهاتها الأخيرة ، وتذكّر وصيتها له بالصبر والثبات ، تذكّر ابتسامتها الجميلة حين كانت روحها تصعد إلى بارئها ، وتذكّر حرارة كفيها حين لامست خديه مودّعة بحنان ورفق ، لينسلّ منهما الدفء تدريجيًا ، ويحل برد يديها على خدّه يخبره بنبأ وفاتها..

– أبا مؤيّد! أرجوك لا ترحل ، اصبر قليلا فقط ، لا أريد أن أفقدك أنت أيضًا ، أرجوك لا تتركني.

فتح أبو مؤيد عينيه ، نظر بعيون خالد ، ارتسمت على ملامحه الجميلة ابتسامة مختلفة جدًا ، غير كل تلك الابتسامات التي كان يراها على محيّاه الجميل.

– لا تحزن صديقي ، فأنا أرحل إلى جوار الرحمن الرحيم ، هناك ، إلى الفردوس الأعلى من الجنة ، ألسنا نجاهد لنصل إليها؟ ألسنا نحتمل المخاطر لأجلها؟ فلماذا الحزن لو أكرمنا الله بها؟

الأقصى أمانتكم يا خالد ، لا تفرّطوا فيه ، لا تتركوه محتلًّا يدنّسه الأعداء ، القدس أمانة عندكم ، فلسطين أرض مباركة لا تتنازلوا عن شبر منها ، اصبروا واثبتوا ولا تظن أن الشهادةَ نهاية الطريق.

رفع عينيه إلى السماء والدموع تزيدهما لمعانًا وبريقًا في مشهد ملائكي

فتّان ، وكأنه يرى مقعده من الجنة فرِحًا مستبشرًا بالنعيم الذي يُقْبِلُ عليه ، وبصوت متقطّع وجهدٍ كبير ، تمكن من لفظها نابعة من قلبه الطيب الطاهر:

-أشهد أن لا إله إلا اللّه وأشهد أن محمّدًا رسول اللّه

وصعدت روحه إلى بارئها

-إنا للّه وإنا إليه راجعون.. الحمد للّه الذي أكرمك بالشهادة ، هنيئًا لك يا أبا مؤيد ، اللهم ارزقني الصبر الجميل.

كلمات ثقيلة نطق بها خالد والغصة تخنقه وتكتم أنفاسه ، وهو يرى رفيق دربه يغادره فرِحًا مستبشرًا ، ويتركه في هذه الدنيا مع هذه الأمانة الثقيلة.

ضمّه إلى صدره بقوة وأطلق ما في قلبه من أوجاع باكيًا مودعًا ، وبلّل بدموعه وجه الشهيد الطاهر ، لتبقى تلك الدموع على خديه شاهدة على أخوة اجتمعت في اللّه ، وافترقت عليه.

- سأشتاق ابتسامتك الجميلة يا أخي ، سأشتاق روحك الطيبة المرحة ، سأشتاق وقوفك بجانبي كالجبل الثابت الذي لا يهتز..

أعدك ألّا أفرط بالأقصى يا أخي ، أعدك أن أفديه بقلبي وروحي ومالي ودمي ، أعدك أن أحرر فلسطين كلها شبرًا شبرًا ولا أترك للعدو فيها أي أثر ، سأبقى على العهد أخي الغالي ، لن أفرط بالأمانة ، ولن أترك القضية ، ولن أتراجع عن هدفي إلى أن ألقى اللّه ، لأجتمع بك من جديد في فردوسه الأعلى إن شاء اللّه.

وصلوا إلى المقر السري ، حاملين جثمان الشهيد الطاهر بفخر وعزة وإباء..

ركض قائدهم إليهم ليستقبل شهيدًا جديدًا سقط على درب الحرية والكرامة ، مودّعًا أسدًا من أسود فلسطين المحتلة ، راضيًا بقضاء الله وقدره.. مسح على جبينه المضرّج بالدماء بحزن وألم وفخر كبير وقال:

- نهاية تليق ببطل ، إنا لله وإنا إليه راجعون ، نعدك أننا سنسير على دربك إلى أن نلقى الله ، لن نترك دمك يذهب هدرًا ، سنصون أمانتك ، وسنبقى على عهدك ثابتين..

امسح دموعك يا خالد ، فأبو مؤيد وصل إلى نهاية تليق بشاب مؤمن مثله ، نحتسبه عند الله شهيدًا ولا نزكي على الله أحدًا ، نسأل الله أن يغفر له ويرحمه ويتقبّله في علّيّين مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا.

- الحمد لله على قضاءه وقدره ، لقد مات في حجري وأوصاني بالثبات على الدرب من بعده ، وحمّلنا أمانة تحرير المسجد الأقصى المبارك واستعادة كل شبر من أرضنا المحتلة..

أين عدنان؟ كنت قد تركته خلف التلّ.

- سيصل بعد قليل لا تقلق ، هيا لنوقظ معاذ.

نضحوا على وجه معاذ بعض الماء البارد ليفيق من نومه بذهول ويقول:

- أين أنا ، أخي خالد ما أسعدني برؤيتك! هل أنا أحلم؟

نظر معاذ حوله ليجد أبا مؤيد ممدّدًا قربه على الأرض.

- ما هذا؟ هل ضحّى أبو مؤيد بحياته في سبيل خلاصي؟



وصل عدنان إلى المقر السري ليرى معاذًا وخالد يتعانقان بقوة والدموع تنهمر من عينيهما ، وقبل أن ينطق بكلمة واحدة رأى جثمان أبي مؤيد وقد تخضّب جسده بالدماء.

-إنا لله وإنا إليه راجعون.. يا إلهي.. كيف حدث هذا؟

رحمك الله أيها البطل.. عرفتك لساعات قليلة لكنها كانت كافية لأعلم أنني أمام شاب عظيم قلّ مثيله ، علّمتني خلال تلك الساعات الكثير ، لكن بطولتك واستشهادك في سبيل الله كان هو الدرس الأعظم الذي أتلقّاه في حياتي..

لم يترك لهم قائد المجموعة وقتًا كافيًا ليتمتعوا بلحظات القرب من رفيق دربهم قبل أن يواروه الثرى..

قاطعهم قائلًا:

-هيا أيها الشباب.. لن تعودوا لبيتكم بعد اليوم ، فالأمور جرت بطريقة تختلف عما خطّطنا لها ، وأصبحت عودتكم إلى بيتكم خطرة جدًّا عليكم!

سأتولى مهمة إكرام شهيدنا ودفنه ، فهذا حقه الأخير علينا ، بينما تذهبون إلى مقر آخر بعيد من هذا المكان الخطير جدًّا..

ألقى خالد ومعاذ وعدنان نظرات الوداع الأخيرة على شهيد الأقصى الجديد ، قبّلوا جبينه الوضّاء ، ورحلوا إلى مقر آخر في بلدة نائية..

....

في اليوم التالي خرج عدنان إلى بستان قريب من مكان إقامتهم الجديد..

وجد شجرة زيتون كبيرة فاستظلّ تحتها ، وجلس ينظر إلى الأفق شارد الذهن تعلو وجهه هموم الدنيا..

جاء خالد وجلس بقربه ، ليقبض بيديه قبضة من التراب كل حين ، ويتأملها حين تنساب حباتها متساقطة على الأرض واحدة تلو أخرى ببطء وهدوء..

– هذا تراب فلسطين يا عدنان ، ارتوى بدمائنا عبر العصور ، كل ذرة فيه تحكي قصة شهيد ، وكل حجر فيه يحكي قصة بطولة.

– ما حصل بالأمس جعلني أفهمكم تمامًا ، أفهم معنى الحياة بشكل مختلف ، تعلمت منكم معنى القوة ، ومعنى الإرادة ، معنى الكرامة والحرية ، تعلمت أن الحياة أثمن من أن نهدرها بلا طائل ، وأن هناك في الآخرة من الجزاء الجميل ما يستحق أن نبذل حياتنا لأجله..

لكنني لا أعيش في فلسطين ، كيف لي أن أكون بطلا مثلكم؟

– البطولة لا ترتبط بفلسطين فقط.. انظر يا عدنان..

تكون بطلًا لو كنت في فلسطين ودفعتك ظروفك لتختار حياة العظماء رغمًا عنك ، فلم تتخاذل وقمت بواجبك على أكمل وجه.

لكنك ستكون أكثر بطولة عندما تعيش في بلدك البعيد عن القدس حياة العظماء رغم أن حياة الترف والغفلة متاحة أمامك وتستطيع الوصول إليها بسهولة ، تكون بطلًا عندما تقاوم كل تلك الإغراءات التي تدفعك للتمتّع بملذات الحياة والخوض في ظلمات الغفلة والمعاصي ، لكنك تترفّع عنها وترفضها وتختار أن تترك المعصية والغفلة وحياة اللهو والعبث وتختار العمل الصالح بما فيه من جهد ومشقة وجدية..

– وما فائدة أن أكون قويًا مثلك في بلد لا حرب فيه؟

– (المؤمن القويُّ خيرٌ وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضَّعيف ، وفي كلٍّ خيرٌ)

هـذا قـول نبينـا محمـد عليـه أفضـل الصـلاة والسـلام لـكل النـاس علـى اختـلاف ظروفهـم.

فـالله يحـبُّ المسـلم القـويَّ ليعبـد الله علـى أتم وجـه ، وليكـون مؤهَّـلًا لتنفيـذ مهمَّـة الاسـتخلاف في الأرض وأداء أمانـة الديـن الـتي حملهـا ، وكل منـا يحمـل أمانـة الديـن بالشـكل الـذي يتناسـب مـع ظروفـه ومـكان إقامتـه ، فالعمـل الصـالح المطلـوب منـك في بلـدك يختلـف عـن العمـل الصـالح المطلـوب منـا هنـا..

- وما هي القوة التي أحتاجها في بلدي؟
- مفهوم القوة هنا له عدة أبعاد يا عدنان:

أن تكـون قويًّـا في إيمانـك ، قويًّـا في أداء عباداتـك ، تتعلَّـم دينـك وتحمـي قلبـك مـن أمـراض القلـوب كالشِّـرك والحسـد والحقـد ، قويًّـا في عقلـك تطلـب العلـم وتكثـر القـراءة فيمـا ينفـع ، وتتعلـم مهـارات التفكـير الناقـد حـتى لا تقـع فريسـة لخـداع الإعـلام ودعـاة الباطـل.

قويًّـا في بدنـك نشـيطًا في حركتـك ، صحيـح الجسـم لا ترمـي نفسـك للمـرض ، بـل تقـوّي جسـدك بالرياضـة والطعـام الصحـي ، فالمـرض يعيـق الإنسـان عـن القيـام بأعمالـه و واجباتـه..

أن تكـون قويًّـا في إرادتـك ، فـإذا علمـت مـا يحبُّـه الله تبـادِرُ لفعلـه بهمَّـةٍ وعزيمـةٍ ، وإذا علمـت مـا يكـره الله تتركـه بـلا تـردُّدٍ ، صبـورًا علـى تحمُّـل المشـاقِّ وصعوبـة الحيـاة ، وعلـى طلـب العلـم مهمـا شـقّ ذلـك عليـك.

- يمكنني أن أضيف نوعًا من أنواع القوة أيضًا

أرى أنـه مـن المهـم أن يكـون المسـلم قويًّـا في مالـه أيضًـا ، يسـعى لتحسـين حالـه

الماديِّ بكل ما أتيح له من طرق أحلَّها اللّه له ، يطوِّر نفسه بالعلم الذي يحتاجه لتحسين عمله ، ويطوِّر مهاراته بالعمل والتَّعامل مع النَّاس ، فيزيد دخله وينفق على نفسه وأهله ، ولا ينسى الفقير والمحتاج.

-صحيح يا عدنان ، فالقوة المالية لا تقل أهمية عن غيرها.

ولا تنسَ أن تناصر قضيتنا الفسلطينية بتوعية الناس حولها وتذكيرهم بها وتعريفهم بحقيقة عدونا ، أن تحكي لهم عن المسجد الأقصى وتذكرهم بواجب كل مسلم تجاهه ، أن يحميه ويدافع عنه بما أتيح له من سبل ، والدعاء لنا لننتصر على عدونا ونحرر أقصانا من هؤلاء المجرمين.

-هذا واجب كل مسلم فعلًا ، وسأحرص على القيام به بالتأكيد.

لكن أود أن أسألك..

هل يعني هذا الحديث أن اللّه لا يحب المؤمن الضعيف؟

- لا ، البتّة ، فاللّه تعالى يحب المؤمن القوي والضعيف ، لكن حبه للمؤمن القوي أكبر ، ففي كلاهما خير لوجود الإيمان في قلبيهما.

فالإيمان باللّه يرفع قدر الإنسان حتَّى لو كان ضعيفًا ، فهو دليل سلامة العقل والقلب ، وبهذا يتفوَّق المؤمن الضَّعيف بقيمته عند اللّه على الكافر القويِّ مهما بلغت قوَّته وازداد علمه وتطوّرت بلاده.

وكم من مؤمنٍ كان قويًا فابتلاه اللّه بالضَّعف بشكلٍ خارجٍ عن إرادته ، وكم من مؤمنٍ كان غنيًّا فابتلاه اللّه بالفقر ، وما ذلك إلا لرفع درجاتهم وتكفير سيِّئاتهم واختبار صبرهم ورضاهم عن قضاء اللّه وقدره.

لكنَّ اللّه تعالى يحبُّ أن يرى المؤمن حريصًا على تحسين وضعه وقوَّته ما

استطاع إلى ذلك سبيلاً لا يستسلم ولا ييأس ، بل يسعى جاهدًا ليكون عامل بناء في المجتمع لا عالة عليه ولا عامل ضعف فيه ، لهذا أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في تتمة الحديث أن نستعين بالله ولا نعجز عند الهمّ والمصيبة ، وألّا نستسلم بعد كل سقوط ، بل نحاول أن ننهض باستمرار من جديد فقال صلى الله عليه وسلم: (احرص على ما ينفعك ، واستعن بالله ولا تعجز ، وإن أصابك شيءٌ فلا تقل: لو أنّي فعلت كان كذا وكذا؛ ولكن قل: قدّر الله وما شاء فعل؛ فإن لَو تفتح عمل الشَّيطان)

استقرت النصيحة في ذهن عدنان حين وجهها له خالد مربتًا على كتفه برفق وأخوة دافئة ، ذكرته بنصائح أبيه التي طالما تجاهلها ولم يُلقِ لها بالًا ظنًا منه أن الدنيا أبسط بكثير من حاجته ليكون قوي الجسم راجح العقل صاحب إرادة وعزيمة وصبر.

....



بعد أيام..

- ستكون مفاجأة المساء لهذا اليوم أجمل مائدة وأطيب طعام لصديقيّ الرائعين عدنان ومعاذ ، سأدخل إلى المطبخ لأعدّ الطعام ، وستعمل معي تحت إشرافي يا عدنان ، لا نريد أن نأكل دجاجًا بالسكر اليوم!

- كفاك ضحكًا مني سأريك اليوم كل مهاراتي بالطبخ.

- خبّئ مهاراتك لنفسك وتعال لتصنع سلطة الخضار وسأكون ممتنًّا وشاكرًا لك.

- أين ذهب معاذ؟

- سيكون هنا بعد قليل ، أحب أن يُعِدّ لك مفاجأة هو الآخر.

- أنتظرها بشوق!

مكان جميل وصحبة طيبة ، رغم أنني لم أفهم بعد كيف أصبحت بينكم إلا أنني سعيد بالتعرف عليكم

أحببت هذا البيت الجديد ، هو خير لك من حياة الوحدة في بيتك السابق ، أليس كذلك يا خالد؟

- نعم أفضل بكثير ، لكن قلبي سيبقى هناك مع ذكريات والديّ الحبيبين بلا شك.

وحين خيّم المساء..

- كان الطعام لذيذًا ، أطيب من أي طعام أكلته في حياتي ، وطعم «الكنافة» شيء من الخيال ، سلمت يداك يا معاذ ، فهديّة على شكل قطعة «كنافة فلسطينية»



تفوق عندي قيمة هدية من الذهب.

- لكننا لم نصل إلى لحظات التحدّي بعد يا عدنان!

- أي تحدٍّ هذا؟

- لعبة حديثة قمت بتحميلها قبل قدومك الغامض لبيتي ، أكثر لعبة حماسية مرّت عليّ في حياتي.

- لا أصدق! وهل تلعب ألعابًا إلكترونية مثلي!

- ولم لا؟ لا بد لكل منا من فسحة راحة ومتعة بعد أيام من العمل الجاد يروّح فيها عن نفسه ، هيا أرني مهارتك يا عدنان.

- تريد منافستي حقًا؟ سأعلمكَ ألّا تتحدّاني مرة أخرى.

أضاف معاذ:

- لا تثق بنفسك كثيرًا حتى لا تصاب بخيبة أمل يا عدنان ، فخالدٌ محترف لا يُشَقّ له غبار!



- راقب يا معاذ ، يمكنك تصوير هزيمة خالد لتذكّره بها كلما انتفخ مفاخرًا بمهارته عليك في المرات القادمة.

بدأ اللعب بحماس ، والضحك والفرح يملآن البيت بدلًا من الحزن الذي طغى عليه في سابق الأيام.



فجأة ودون سابق إنذار قطع لعبهما رسالة وسط الشاشة تقول

-(انتهت رحلتك يا عدنان ، هيا استعد للعودة إلى واقعك)

ذُهل عدنان ممّا رآه ونهض على قدميه مستغربًا وقال:

- انظر يا خالد ، هذه هي الطريقة التي أتيت بها إليكم! هل صدقتماني الآن!

- ما هذا؟ هل نحن أمام تقنيّة جديدة لم نعرف عنها بعد؟

- ربما كان ذلك ، مهما يكن الأمر عليّ أن أغتنم الفرصة للعودة إلى بيتي ، لا أعلم ما الذي حصل بأهلي إلى الآن..

خرج صوت من جهاز الحاسوب يقول:

-(لا تقلق ، لم يمرّ من الوقت في حياتك الواقعية إلا دقيقة واحدة ، انظر إلى هذه الصورة ، لا زلت هناك على كرسيّك واضعًا رأسك على الطاولة ، لم يشعر أحد بغيابك لأنك لم تغب عنهم أصلًا ، ولم يصل أبوك إلى المنزل بعد).

- أنا لا أفهم ما يحصل ، اشرح لي يا خالد ، اشرح لي يا معاذ!

- لا تقلق يا عدنان ستكون بخير ، أنا واثق من هذا.

خرج الصوت من الحاسوب مجدّدًا:

(عندما تكون جاهزًا للانطلاق اضغط موافق)



- سأغادر يا إخوتي ، لن أنسى دروسًا قيمة تعلمتها من وجودي بينكم.

- سعدنا بوجودك بيننا يا عدنان ، كنت أحد من ضحى في سبيل حريتي وإخراجي من السجن ، لن أنسى لك هذا ما حييت.

- لا تقل هذا يا معاذ ، لم أفعل إلا واجبي.

أستودعك اللّه يا خالد.

- مع السلامة يا عدنان ، سأفتقدك كثيرًا أيها الفتى الطيب المرح المشاكس..

أعدك أننا سنحرر هذه الأرض المقدسة التي رسم لنا فيها عمر بن الخطاب سبيل عزتنا عندما قدم إليها مع الفاتحين فقال (إنا كنا أَذلَّ قوم فأعزّنا اللّه بالإسلام ، فمهما نطلب العزّ بغير ما أعزّنا اللّه به ، أذلنا اللّه)

تعانق الثلاثة بقوة والدموع تنهمر من العيون..

وفي النهاية ضغط عدنان على (موافق)..

★★★


الفَصلُ الخامس



رفع عدنان رأسه عن طاولته ، نظر حوله بذهول ليجد نفسه في بيته من جديد ، لا شيء تغيّر ، ولا شيء تحرك من مكانه!!

- يا إلهي ، هل كنت في حلم؟

لحظات قليلة ودخل أبواه الغرفة مسرعين

بادر أبوه بسؤاله:

- عدنان ، ماذا يحصل؟ الشرطة على الباب يريدون رؤيتك!

- فعلها المعلم حازم!

ذلك الرجل يتهمني بأنني استدنت منه مبلغ مليوني درهم ، والمصيبة أنني وقعت على ورقة فيها سند تثبت استدانتي المال منه دون أن أنتبه ، وها هو يهدد بأن يرميني في السجن لأضطر لدفع المال ليعطيه لقائد الشرطة بدلًا من خسارته المتوقعة التي ربما أكون سببتها له في إعلاني الفاشل الأخير الذي قدمته اليوم.

- إنا لله وإنا إليه راجعون! أي مصيبة حلّت بنا! اللهم أنت المستعان

- سامحني يا أبي ، أرجوك..

نزل عدنان إلى الشرطة بعد أن ودع والديه وطلب رضاهما ودعاءهما ، ركب في سيارة الشرطة ليجد نفسه بعد دقائق في السجن موقوفًا على ذمة التحقيق!

كان قلبه يرتجف من الخوف ، دخل غرفة كبيرة بعض الشيء ، فيها أسرّة بطابقين في كل منها لحاف مهترئ ووسادة متسخة ، يجلس على أحد الأسرّة

رجل يبدو أنه موقوف على ذمة التحقيق ، ربما سيبقى هنا ريثما يتم البت في قضيته والإفراج عنه أو نقله إلى السجن المركزي في حال ثبوت التهمة عليه.

-أهلًا بك يا فتى ، تعال إلى جانبي ، لا يبدو لي أنك صاحب مشاكل!

بقي عدنان صامتًا وجلس بعيدًا يراقب المكان..

اتجه الرجل إليه وجلس بقربه

-أنا عثمان ، موقوف هنا بتهمة ظالمة بعد شهادة زور شهدها ضدي أحد الموظفين بقضية اختلاس في الشركة التي أعمل بها ، لا تخف لست مجرمًا.

اختار عدنان الصمت من جديد..

كل شيء هنا يدعو للشك والريبة والصمت والانطواء ، كيف له أن يتوقع أن يجد نفسه في سجن بهذه البساطة والسهولة دون أن يرتكب جرمًا ، لم يكن قادرًا على استيعاب تلك الأحداث والصدمات المتلاحقة التي أودت به إلى ما هو عليه.

– ما هي تهمتك يا بني؟ هل ارتكبت خطأً ما؟

– دعني وشأني يا عم.

وجد عدنان سريرًا فارغًا ، ذهب واضطجع عليه وأدار وجهه للحائط ، ليسمح للأفكار أن تتراكض كخيول جامحة في رأسه ، وللحزن أن يحتل قلبه ، وللدموع أن تنهمر من عينيه بصمت.

ساعات وساعات مرت بطيئة على عدنان ، لا يعلم ماذا سيحصل في شأنه ، ماذا سيفعل أبوه لأجله ، ما الدليل الذي عليه أن يقدمه للشرطة ليثبت براءته.

فجأة.. فُتِح الباب..

ليجد صديقيه بلالًا وعمّارا يُدفَعان بقوة إلى الزنزانة ليقعا أرضًا!!

- بلال! عمّار! ما الذي تفعلانه هنا؟

أمسك بأيديهما وساعدهما على النهوض منتظرًا منهما إجابة تبشره بخلاص قريب

- أنت هنا أيضًا يا عدنان!! جيد أنهم جمعوا بيننا في زنزانة واحدة! ربما نتسلى معًا!

هل الطعام الذي يقدمونه هنا لذيذ؟

- أخبرني ما القصة يا عمّار؟ ليس هذا وقت مزاحك!!

بادر بلال قائلًا:

- كنا نتابع البث المباشر الذي قمت بتصويره اليوم، ورأينا المشكلة التي حلّت بك في المطعم، وعرفنا من أبيك ما الذي فعله بك المعلم حازم، فأتينا وقمنا بالاحتجاج أمام مركز الشرطة للمطالبة بإخراجك من السجن، وخصوصًا أننا نحمل دليل براءتك، فما كان من قائد الشرطة الذي أتى غاضبًا بعد الفضيحة التي حلّت بمطعمه، إلا أن يمسك بنا ويرمينا في السجن بعد أن علم بأننا أصدقاؤك!

- صديقي بلال، أشكرك من قلبي على هذا الموقف النبيل، لكن عن أي دليل براءة تتحدث؟

- المعلم حازم هذا هو من دفع بنا لنكون مشاهير مثلك، فجعل منك وسيلة للربح على أنستغرام، وأنا على اليوتيوب، وعمّارا على تيكتوك! لكننا لم نخبرك

بذلك فهو من طلب منا كتمان السر ، ولم نعلم أنه يدبر أمرًا ، ولم نحصل منه على قرش واحد منذ أن عملنا معه مع أننا قمنا بتقديم الكثير من الإعلانات والتحديات وحققنا له مرابح كثيرة.

وعندما رأينا الذي فعله بك علمنا أن مصيرًا مشابهًا ينتظرنا ، وتذكّرنا تلك الأوراق التي وقّعناها بجهل وتسرّع مثلك تمامًا ، فأتينا لتقديم شهادتنا خصوصًا أننا نعلم مكان احتفاظ المعلم حازم بتلك الأوراق ، ويمكننا أن ندل الشرطة على مكانها ليتأكّدوا من صحة كلامنا.

– وكيف يمكن أن تثبت للشرطة أنه احتال عليكما وأنكما لم تستدينا منه مالًا بالفعل يا بلال؟

– أجريت معه اتصالًا هاتفيًا قبل أن آتي إلى مركز الشرطة لأسأله عن العقود التي وقعها معنا إن كانت تحتوي على كارثة كتلك التي أوقعك بها.

ولأنه كان غاضبًا منك انفجر في حديثه معي معترفًا بخداعه لي ولك ولعمّار أيضًا ، وصار يهددني ويتوعد بسجني كذلك إن وضعتُه في موقف سيء كالذي أوقعتَه فيه.

لم يكن يعلم أنني أسجل المكالمة بيني وبينه لتكون دليلًا على خداعه لي ، فكان في حديثه من الاعترافات ما فيه دليل براءتك أيضًا!

– الحمد لله ، أشكرك من كل قلبي يا بلال. شكرًا لكما يا صديقيّ. رغم أنني لم أكن أتصرف معكما بشكل لائق من قبل إلا أنكما أثبتما لي أنكما أصحاب خير ومروءة وشهامة ، لن أنسى معروفكما أبدًا..

قاطعه عمّار قائلًا:

– دعك من هذا الكلام وأخبرنا.. كيف وجدت طعم الأخطبوط؟

نظر عدنان إلى عمّار ليراه وقد أمسك نفسه عن الضحك بصعوبة ، لينفجر الثلاثة معًا ضاحكين على ذلك الموقف المحرج ، وجلس الثلاثة على السرير ينتظرون التحقيق معهم على أمل الإفراج عنهم.

مرّ يومان على وجودهم في السجن ، يخرج أحدهم للتحقيق ليعود بعد قليل ويأتي دور الآخر ، وعلى هذا المنوال قضى الثلاثة وقتهم في توتر مصحوب بالتفاؤل والأمل بالله أن يفرج عنهم ما هم فيه.

خلال ذلك الوقت كان عثمان –النزيل السابق– يراقبهم مشفقًا عليهم ، يتقرَّب منهم ببعض الطعام ، ويقدّم لهم من الخدمات ما يُمَكّنهم من التأقلم مع الحياة في السجن ، حكى لهم قصة الظلم الذي تعرّض له ، وأنه مثلهم يعيش على أمل الخروج ، رغم تعقيد قضيته.

وفي جلسة مسائية ، جلس عدنان مع عمّار وبلال يروي لهم ما عاشه من أحداث في القدس ، وحكى لهم عدم قدرته على استيعاب ما حصل ، كيف؟ ومتى؟ وألف إشارة استفهام أخرى.

لم يفلح في إقناع صديقيه بما حصل ، كيف ذلك وهو لا يملك القناعة التامة أن ما عاشه من أحداث في القدس قد حصل فعلًا..

لكن ما كان متأكّدًا منه هو تغيير قناعاته عن الحياة ، عن نفسه وهويته ،

عن هدفه وغاياته ، حكى لهم عن فتيان وشباب في نفس سنه يحملون في الحياة أهدافًا سامية ، يعتزون بهويتهم ويفخرون بانتمائهم لأمة الإسلام ، لم تنجح الحملات الإعلامية في تغيير هويتهم ، لا يشكّل لهم المشاهير قدوة ، ولا يعتبرون الترف واللهو أهم شيء في الحياة ، يُسَخّرون وقتهم للعلم النافع ، ويحملون قضية تحرير المسجد الأقصى من كل محتلّ.

اقترب منهم العم عثمان بهدوء وقد بدا على وجهه علامات الاستغراب من الأحداث التي سردها عدنان ، والإعجاب بالقناعات الجديدة التي يحملها ويحاول إيصالها لرفاقه عمّار وبلال.

- هل تعلم يا عدنان؟ ذكّرني كلامك بقصة صحابي جليل انقلبت حياته رأسًا على عقب بعد أن تغيّرت أفكاره وشعر بحلاوة الإيمان في قلبه ، ما رأيكم أن أحكيها لكم؟

- يسعدنا ذلك يا عم ، كلنا آذان صاغية.

- كان هناك فتى مدلّل يعرفه كل أهل مكة لغناه وترف حياته ، وجمال طلته وأثر رائحته العطرة التي يتركها خلفه أينما حلّ..

إنه مصعب بن عمير الفتى المميّز ، وُلِد في أسرة ثرية وحظي باهتمام والديه ، وكان حديث الناس ومحط أنظارهم وإعجابهم ، تُفتح له صدور المجالس لحسن حديثه وقربه من القلوب والنفوس ، وتُلَبّى طلباته ورغباته دون تردد من أمه التي جعلت منه فتى مميزًا يرمقه الجميع بعين الغبطة والإعجاب.

ذات يوم سمع مصعب الناس يتحدَّثون في شأن دين جديد اسمه الإسلام ،



وعن النبي محمد صلى الله عليه وسلم الذي كان طول حياته وحتى فترة قريبة يُلقَّب «بالصادق الأمين» ويرى انقلاب الناس إلى اتهامه بالكذب فجأة ودون مبرر ودليل ، لكونه فقط يخبرهم أنه رسول من رب العالمين.

دفعه فضوله الشديد إلى أن يتتبّع الأخبار ، فعلم اجتماع رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أصحابه سرًّا في دار الأرقم بن أبي الأرقم ، والأرقم فتى في مثل سنّكم كذلك ، جعل من بيته مقرًّا للدعوة السرية بعد أن ذاق حلاوة الإيمان وقرر أن يُسخر حياته وإمكانياته للفوز بشرف نصرة هذا الدين وحمله إلى العالم كلّه.

وفي إحدى الليالي تجرّأ مصعب بن عمير وذهب إلى دار الأرقم بن أبي الأرقم ، وجلس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لتدخل آيات كتاب الله إلى قلبه لأول مرة ، وتنير بجمالها فؤاده وروحه ، ليشهد بتوحيد الله خالقه ورازقه ومدبّر أمره ، ويكفر بما كان يعبده قومه من أصنام.

وصل الخبر لأمه ، وكانت -رغم حبها له- شديدة حازمة لها هيبة ومكانة ، يخافها مصعب أكثر من خوفه من كبار كُفّار قريش ، فأخذته وقيّدته في البيت ومنعته من الخروج ، وضغطت عليه بكل الطرق ليرتد عن دينه ، وهدّدته بمنع عطائها عنه من مال ولباس جميل وعطور وكماليات ، لكنه ظل ثابتًا صابرًا رغم كل تلك الضغوطات التي مارستها عليه أمّه على اختلافها.

إلى أن وصل إليه مرة خبر هجرة جماعة من المسلمين إلى الحبشة ، فعمد إلى حيلة مكّنته من الهرب ليلتحق بركب المهاجرين ، تاركًا خلف ظهره زمن الثراء والنعمة والترف والرخاء ، وصار بعدها فقيرًا مُعدَمًا لا يجد ما يستر به جسده سوى ملابس قديمة ومتواضعة.

ترى ماذا لو كان أحدنا مكانه؟

ما رأيك عدنان؟ لو وجدت نفسك يومًا مُخيّرًا بين حياة الترف والغنى من جهة ، وبين وقوفك مع الحق وأهله وحرمانك من حياة الثراء التي اعتدتها ، لتتعرّض للفقر والشدائد المختلفة ، ماذا كنت ستختار؟

- موقفٌ صعب فعلًا ، فإن كنتُ فقيرًا وعُرضت عليّ حياة الثراء مقابل ترك ديني فهذه أعظم فتنة ، وإن كنت غنيًّا ووجدت الفقر هو مصيري عند تمسّكي بديني ، فهذه فتنة عظيمة كذلك..

كيف لنا أن نضمن ثباتنا لو تعرّضنا لهذه الفتن؟

- الثبات من الله وحده ، لمن عبده بإخلاص وحب ، وتقرب إليه بالفروض والنوافل ، وذكر الله كثيرًا بالتسبيح والحمد والتهليل والاستغفار ليزكّي نفسه ويطهرها من ذنوبها ، ومن كانت أخلاقه الحسنة تبرهن صدق إيمانه ، فلا يرى الناس منه إلا معروفًا وأدبًا وخيرًا ، ومن سأل الله مرارًا الثبات على الدين ، فإن الله سيثبته على الدين بلا شكّ إلى أن يلقاه.

- لكن يا عمّ ، هل علينا أن نقاسي الفقر والعذاب دائمًا إن اخترنا الإيمان؟

-لا يا عمّار ، هل تعلم أن من الصحابة أثرياء كبار ، خديجة بنت خويلد ، أبو بكر الصديق ، وعثمان بن عفان الذي جهز جيش العسرة وحده بالمال والسلاح ، وعبد الرحمن بن عوف ، طلحة بن عبيد الله وغيرهم كانوا أهل ثراء نصروا الإسلام بمالهم كما نصروه بأنفسهم ، فلا تعارض بين الإيمان وحياة الغنى ، لكن الله يختبر صدق إيماننا بابتلاءات مختلفة بين الحين والآخر ليعلم الصادقين منا ويجزيهم بصدقهم جنات النعيم ، ويعلم الذين يبيعون دينهم من أجل مصالح الدنيا وزينتها فيكونوا من الخاسرين.

- نحن نعيش اليوم الفتن ذاتها بشكل آخر ، حين يتم تلميع صورة الغرب ومشاهيره ، وصورة أبطال الفرق الكورية وشخصيات الإنمي وإبرازهم بشكل جذاب فاتن ، في حين يتعمّدون عرض صورة الدين الإسلامي وأهله في الإعلام

بصورة سيئة مشوهة تفتقد لأي جاذبية لدى الناشئة والشباب ، فتجد كثيرًا منا يتمنى لو أنه كان ينتمي لأولئك النجوم وحضارتهم ، ويخجل ربما من المظاهر التي تدل على انتمائه لبلده أو دينه الذي تم تشويه صورته في عقله وقلبه.

أي غسيل عقول هذا الذي تعرّضنا له! الحمد لله الذي أنار قلبي من جديد.

- بالضبط ، هذا ما يحصل اليوم يا عدنان ، أما مصعب بن عمير فقد حسم قراره ، واشترى دينه بدنياه ، وكان لشدّة إيمانه راضيًا بدفع ثمن موقفه ، واحتمل كل ما يترتّب على قراره بدخول الإسلام من متاعب وصعوبات ، يراه النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم وهو بملبسه البسيط ، فيقول وابتسامة الرضا عن مصعب تغمر وجهه الكريم: (لقد رأيت مصعبًا هذا ، وما بمكة فتًى أنعم عند أبويه منه ، ثم ترك ذلك كله حبًّا لله ورسوله!).

وتدور الأيام ، ويصبح مصعب بن عمير سفيرًا لرسول الله صلى الله عليه وسلم في أرض يثرب ، ليكون سببًا في دخول الإسلام إلى بيوتها وإسلام كبار زعمائها بحسن خلقه ورجاحة عقله وحسن علمه وقوله ودعوته ، لتتهيّأ المدينة بعد ذلك لاستقبال النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه من المهاجرين وتصبح قاعدة لبناء دولة الإسلام.

تخيّل يا بلال ما الذي كان سيحدث لو اختار مصعب بن عمير والصحابة الكرام حياة الترف والسلامة والراحة ، بدلًا من الدخول في الإسلام وحمايته ونصرته وتبليغه للناس ، هل كنا اليوم مسلمين؟



- ربما كنا لا زلنا نعبد الأصنام! نصنع صنمًا من تمر فإذا جعنا أكلناه! نحن اليوم مسلمون لأن الصحابة ومن بعدهم حملوا قضية الإسلام وعاشوا لأجلها.

- وهذه وظيفتنا من بعدهم يا بلال ، أليس كذلك؟

- بلى.. حتى تنعم الأجيال من بعدنا بالإسلام.. هذا حقهم علينا..

وماذا بعد يا عم؟

-بعد أن كان أهل يثرب ينتمون لقبائل «الأوس والخزرج» غيّر الإسلام هويتهم ليطلَق عليهم لقَب «الأنصار» ، وبعد أن كان الصحابة القادمون من مكة ينتسبون لقريش وغيرها من القبائل ، غير الإسلام هويتهم ليصبح اسمهم «المهاجرون»

كل فرد مسلم صارت هويته تتبع لعمله الصالح ، لم يعد يعنيهم الفخر بانتمائهم للقبيلة أو المنطقة التي ولدوا فيها ، ولا لساداتهم وكبار قومهم ، ولا لشعرائهم وفرسانهم ، بل صارت هويتهم تتبع لدينهم وعملهم وتضحياتهم..

يُذكّرني هذا بابن نوح عليه السلام الذي كفر بالله ورفض أن يركب السفينة مع أبيه ومن معه من المؤمنين ، وحين أدركه الغرق طلب نوح من ربه أن ينجّي ولده الكافر ، فقال تعالى: (قال يا نوح إنه ليس من أهلك ، إنه «عمل غير صالح») فكان العمل غير الصالح هو الهوية الرئيسية لهذا الابن الكافر..

وتبعًا لهذه الطريقة الرائعة في تحديد هوية الناس ، وجدنا في السيرة النبوية صحابة شهدوا بدرًا فكان اسمهم «البدريين» ، وآخرين شهدوا بيعة العقبة فصار اسمهم «العقبيين» ، وآخرين شهدوا بيعة الرضوان فصار اسمهم «أهل بيعة الرضوان».

هذا ما يفعله حب الله في النفوس يا شباب ، فمن ذاق حلاوة الإيمان



وعرف الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلا ، وجد المتعة الحقيقية في حياة يعيشها حاملًا لأمانة هذا الدين ولو كان الثمن غاليًا.

مصعب بن عمير شاب عرف هويته ، وعرف سبب وجوده في الدنيا ، وعلم أهدافه وغاياته السامية ، وقرّر أن يعيش معتزًا بانتمائه للإسلام ، مضحيًا في سبيله ما استطاع ، وربما أتيحت لنا الفرصة لأحكي لكم عن قصة استشهاده المؤثرة في غزوة أحد حين كان حاملًا للواء المسلمين بكل قوة ، وعن حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم على خسارة بطل مثله.

أتساءل أحيانا ، ما الاسم الذي يتمنى أن يحظى به أحد منا ليعبّر عن هويته وانتمائه هناك في الآخرة؟ ما رأيك يا عدنان؟

- بالتأكيد لن يسعدني أن أحمل لقبًا يعبّر عن عشقي للهو واللعب والفخر بالمال والنسب ، فهي لن تغني عني من الله شيئًا ، سأكون سعيدًا لو كان اسمي يدل على عمل صالح عظيم قمت به ، فهذا أكثر جدوى لأصل إلى الجنة.

قصة مؤثرة يا عمّ ، أظنها ستكون سببًا آخر لتغيير أسلوب حياتي إن قدّر الله لنا الخروج من السجن

- ستخرجون قريبًا إن شاء الله يا عدنان ، فالتهمة ثابتة على المعلم حازم ، ومكوثكم هنا مسألة وقت فاطمئنوا ، أما أنا فقضيتي أعقد من أن تحل قريبا ، لا تنسوني من دعائكم.

- نسأل الله لك الفرج العاجل يا عمّ ، كيف يتجرّأ إنسان على أن يشهد زورًا ضد رجل بريء؟ ألا يعلم أن الله يرى؟

- هذا ما يحصل إن غاب الإيمان عن القلوب ، وأَعْمَت الأموال وحب الدنيا العقول ، حتى يظن المرء أن اللّه لن يقدر عليه! لكن اللّه ليس بغافل عما يعمل الظالمون.

فتح باب السجن ، وطلب الشرطي من الفتيان الثلاثة أن يتجهّزوا للخروج.

- الحمد اللّه ، ثبتت براءتي يا عمّ ، أشكرك يا عمّار ، أشكرك يا بلال.

كانت عينا عدنان تنهمر بدموع الفرح ، احتضنه العم عثمان بقوّة مهنئًا له ، وتعانق مع صديقيه بسعادة كبيرة.

- حظًّا موفّقًا يا شباب ، كم سأكون سعيدًا إن خرجت من السجن يومًا ما لأرى تغيّر حالكم بعد هذه المحنة ، لا تنس يا عدنان أنك تنتمي للعظماء من الناس ، فأنت من أمة الصحابة الكرام ، والبخاري ومسلم ، وأنت يا عمّار ، أنت ابن موسى بن نصير وطارق بن زياد ، وأنت يا بلال سر على خطى عمر بن عبد العزيز وهارون الرشيد وسليمان القانوني ، يحق لكم الفخر بهذه الهوية ، وحري بكم أن تمشوا على خطاهم ثابتين.

- ستخرج إن شاء الله قريبًا يا عم ، وسترى منا ما يسرك إن شاء الله.

هناك أمام باب مركز الشرطة كان والده ووالدته بانتظاره:

- أبي.. أمي.. أعتذر عمّا حصل ، لن أعود عدنان الذي تعرفونه ، أعدكم أن أغيّر من نفسي لأكون مختلفًا ، سامحني يا أبي ، أنا فخور أنّ لي أبًا صالحًا مثلك ، أرجو أن تنسى كل الكلمات التي سمعتها مني في وقت طيشي.

- عدنان يا بنيّ ، سامحتك بكل تأكيد ، الحمد لله الذي جعل من هذه المحنة منحة لتتغير إلى الأفضل..

- ولدي عدنان ، الحمد لله على سلامتك.

- أحبّك يا أمي.. اكتشفت أن تناول صحن «مجدرة» وأنت راضية عني ، أطيب من كل طعام الدنيا.

تعالت ضحكاتهم بعد طول عبوس وقلق ، وكانت لحظة طويت فيها صفحة الماضي ، لتفتح صفحة جديدة لمستقبل بنّاء.

اجتمع الفتيان الثلاثة على الخير هذه المرة ، ليدرسوا خطّتهم القادمة بعد أن تغيّرت القناعات والقلوب..

- أفكّر أن نستغل حساباتنا الشهيرة على مواقع وسائل التواصل الاجتماعي بشكل إيجابي ، فقد صارت ملكيّتها لنا والحمد لله.

- كيف ذلك يا عدنان؟ ما الذي يدور في بالك؟

- يمكننا أن نستفيد منها في توعية الشباب والجيل الصاعد لهويتهم ونعزز

انتماءهم لدينهم وعقيدتهم ، أنا مثلًا أُتقِنُ صناعة مقاطع الفيديو القصيرة ، أفكر بعمل سلسلة تاريخية تربط الشباب بتاريخهم العظيم ، وتعرفهم على رموز أمتهم وتجعل منهم قدوة صالحة للشباب ، وأستند في هذا على مصادر موثوقة من كتب السيرة النبويّة والتاريخ الإسلامي.

ضحك بلال بصوت مرتفع وقال:

– قناة «عدنان إكس دبليو» للتاريخ الإسلامي! ألا تظن وجود تناقض بين اسم قناتك وبين هدفها ومحتواها؟

بادَلَه عدنان الضحك على زمن مضى وقال:

– أتّفق معك يا بلال ، سأغيّر الاسم لتظهر منه هويتي التي أعتز بها ، ربما سيكون اسم قناتي (عُمَريّون) ، ما رأيكم؟

– ولماذا اخترت هذا الاسم؟

– أثرت بي كثيرًا مقولة عمر بن الخطاب التي علّمنا بها أننا لا نعيش أعزة إلا بعودتنا لديننا وهويتنا ، فأحببت أن يكون لنا اسم يدل على اختيارنا لهذا الطريق الجديد ، فاخترت هذا الاسم على نمط اسم «البدريّين» من الصحابة ، سيكون هذا اسم قناتي ، ويكون كل من يتابعني ويختار هذا الطريق «عمريًّا» مثلي ، ما رأيكم؟

– فكرة رائعة يا عدنان ، أحببتها جدًّا.

– وأنتما أيضًا غيّرا أسماء حساباتكما على مواقع التواصل لهذا الاسم ليكون له صدى بين الشباب والفتيان.

– سأفخر بهذا الاسم معك بكل تأكيد.



أمـا أنـا فأحـب الآثـار والمـدن القديمـة ، سـأخصّص حسـابي لعـرض صـور ومقاطـع فيديـو للمـدن التاريخيـة القديمـة الـتي تحكـي قصـة حضارتنـا ، سـأحكي للنـاس عـن مكـة المكرمـة والمدينـة المنـورة ، سـأحكي لهـم عـن دمشـق وبغـداد ، وحلـب واسـطنبول ، والقـدس ومسـجدها الأقصـى المبـارك ، سـأحكي لهـم عـن قرطبـة وغرناطـة وأشـبيلية ، ليـروا أنهـم أبنـاء أمـة عظيمـة عليهـم أن يكملـوا مسـيرة عزتهـا ويعيـدوا لهـا مجدهـا.

وماذا عنك يا عمّار؟

-أمـا أنـا فعنـدي مهـارات مميـزة في الإلقـاء وسـرد القصـص ، وأحـب اللغـة العربيـة والعلـوم الشـرعية ، هـي جـزء مـن هويتنـا كذلـك





لست متخصّصًا ولا خبيرًا بها ، لكن أبي سيكون معي في هذا العمل ، ستكون مهمتي إعادة اللغة العربية إلى مكانتها في نفوس الناس ، سأحكي لهم قصص العرب التي تحمل في طياتها صُورًا من بلاغتهم ، وأحكي لهم عن إعجاز القرآن الكريم وبلاغته وجمال آياته ، وأغرس في نفوسهم أهمية فهمه وتدبره ، وأحدثهم عن السنة النبوية وأهميتها كمصدر تشريعي في ديننا ، سأروي لهم السيرة النبوية الرائعة وقصص الأنبياء ، لتكون تلك القصص منارة لحياتنا كما كانت قصة مصعب بن عمير سبب تغييرنا.

-هذا رائع يا شباب ، هيا لنمضي في دربنا الجديد على بركة اللّٰه.

★★★



بعد سنوات:

-السلام عليكم.

-وعليكم السلام أهلًا بك.

-جئت أبحث عن عمل في مؤسستكم «عُمَريّون»

نظر عدنان إلى وجه الرجل مدققًا في ملامحه وقال:

-أظن أنني رأيتك من قبل ، لكن أين؟ هل أنت العم عثمان الذي كان في السجن؟

-نعم أنا.

نظر العمّ عثمان مليًّا في وجه ذلك الشاب الوسيم الذي يجلس خلف المكتب وتبدو عليه علامات الهيبة والوقار وقال:

- أنت عدنان؟ هل هذا معقول؟
- هو ذاته يا عم ، أنا عدنان.. أهلًا بك يا عم.

قام عدنان من خلف مكتبه وتوجه إلى العم عثمان يعانقه بحرارة ، ويهنئه على إثبات براءته وخروجه من السجن ، وحكى له مسيرة حياته بعد تلك التجربة المرة.

- وهكذا يا عم ، بعد تخرجنا من الجامعة قمنا بتطوير عملنا وأنشأنا هذه المؤسسة الإعلامية الكبيرة ، صار عندنا فريق من المختصين بمجالات الدين والتاريخ والإعلام والتربية ، وفريق مصمّمين وتصوير وإنتاج ، قمنا بتقديم عشرات الأعمال التي تعزز انتماء الجيل الصاعد لهويتهم ، وتعريفهم بدينهم وحضارتهم ومقدساتهم

أصبح عندنا آلاف من العمريّين ، الشباب الذين عادوا لدينهم وافتخروا بهويتهم وحملوا قضية الأمة على عاتقهم لتعود لها عزتها من جديد.

وسيكون لك في مؤسّستنا عمل أيضًا بكل تأكيد ، فأنت العُمَريّ الذي ساهم في تشكيل قناعاتنا في لحظات التيه والضياع.

فجأة.. ظهرت على شاشة الحاسوب نافذة بلون ذهبي جميل ، كُتِب فيها:

عدنان.. لا تنس قول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب: (إنا كنا أذل قوم فأعزنا الله بالإسلام ، فمهما نطلب العز بغير ما أعزنا الله به أذلنا الله)

التوقيع:

خالد ومعاذ..





أمام آلاف المتابعين، يقف عدنان كل يوم لتقديم تحدّيات مميّزة، وخوض مغامرات ممتعة، ويقدم -كذلك- الإعلانات التجارية ليكسب الكثير من المال.. هكذا تم إقناعه كجزء من حيلة كبيرة!

إعلانٌ واحد باء بالفشل كان كفيلًا بكارثة قلبت حياته رأسًا على عقب، وصار مهددًا بالسجن في أية لحظة..
وقبل أن يحدث ذلك فعلًا وجد نفسه -بلمح البصر- في القدس.. بجوار المسجد الأقصى!!

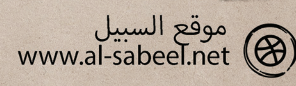
كانت لحظاته الأولى بين قبابه لا توصف، فأن ترى المسجد الأقصى بعينيك، وتلمس تراب أرضه بيديك، يختلف كثيرًا عن رؤيتك له من خلف الشاشات..

تعرّف عدنان خلال رحلته على شباب مقدسيّين، وشعر بأنه في كوكب آخر، فقد عاش معهم أحداثًا رهيبة جعلته يعيد التفكير في حياته ألف مرة:
"لماذا يختلف هؤلاء الشباب عني في أفكارهم وهمومهم وأهدافهم؟
ما سرّ قوتهم وصمودهم؟
لماذا يصبرون رغم آلام الجراح والفقد والتضحيات؟
بل الأهم من هذا كله، هل عليّ حقًا أن أغير أسلوب حياتي؟"

انتهت رحلته في القدس بعد أن كان له دور مهم في تحرير معاذ من سجون الاحتلال في عملية خطيرة مليئة بالتحديات، ليرجع إلى عالمه من جديد ويتحمل تبعات تجربته السيئة في مجال تقديم الإعلانات.

وليكون أهم عمل قام به بعدها.. أن يرفع شعار "عُمَريّون"
هل تشعر بالفضول لمعرفة سر اختياره هذا الشعار؟
إذن..
اقرأ قصة عدنان.. واحجز لك مكانًا في قافلة العُمَريين..





موقع السبيل
www.al-sabeel.net



الكاتبة سلوى شلة
salwareyad2014@gmail.com

